جامعة قطر
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إعداد
رقية حاجي سيد حسن

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الله الخطيب

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير في
تفسير القرآن الكريم وعلومه

ربيع الثاني 1440هـ/ يناير 2019م

©2019م.رقية حاجي سيد حسن. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة رقية حاجي سيد حسن بتاريخ 28 نوفمبر 2018م، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

الأستاذ الدكتور عبد الله الخطيب/ مشرفاً ومقرراً

الأستاذ الدكتور محمد ايدين/ مناقشا داخليا

الأستاذ الدكتور محمد خازر/ مناقشا داخليا

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية.

شكر وتقدير

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

إلى أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى.

أهدي هذه الرسالة إلى حضرة صاحب السمو وجميع القطريين والمقيمين على هذه الأرض الطيبة، الذين غرسوا فينا القيم الدينية وشيم النبل والسخاء وبذل العطاء المعرفي والأخلاقي قال الشاعر:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخلُ

وإني أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذا العمل، فله الحمد وله الفضل وله الثناء الحسن، وبعد حمدالله وشكره فإني أشكر والدتي أمد الله في عمرها، ثم أتقدم بالشكر لهذا الصرح المميز (جامعة قطر) الذي تفخر بها البلاد في ظل حضرة صاحب السموّ أمير البلاد المفدى (الشيخ تميم بن حمد آل ثاني) حفظه الله ورعاه..

ثم أتقدم بالشكر والتقدير لعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: الدكتور/ إبراهيم عبد الله الأنصاري، والعميد المساعد لشؤون البحث والدراسات الإسلامية: الدكتور/ سلطان الهاشمي، كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف على الرسالة الاستاذ الدكتور: عبد الله الخطيب، فقد بذل جهده ووقته في متابعة هذا البحث، فله مني كل تقدير وعرفان، وجزاه عني خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر والعرفان لكل من الاستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف، والاستاذ الدكتور عدنان زرزور، والاستاذ الدكتور مكي إقلانية، والدكتور رمضان خميس على كل توجيه ونصح قدموه لي.

وأسأل الله أن يجزل الثواب لكل من أسدى لي نصحاً وتوجيهاً في هذه الرسالة، حتى بلغ الأمر منتهاه، هذا وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

المُلخَّص

رقية حاجي سيد حسن، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،

يناير 2019م

العنوان: أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الرحمن الخطيب.

تتناول هذه الرسالة الكلام عن أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم، حيث حاولت الإجابة عن أسئلة عديدة أهمها: ما أسباب الاستضعاف؟ وما سبل علاجه التي ذكرها القرآن الكريم؟ وما أسباب النصر والتمكين للمؤمنين المستضعفين في الأرض؟ وهدفت هذه الدراسة إلى جرد أسباب الاستضعاف الواردة في القرآن الكريم، ومنهج القرآن الكريم في سبل علاج هذا الاستضعاف المطلوب رفعه شرعا وعقلا.

ولهذا قسمت هذه الدراسة إلى ثلاث فصول رئيسة، وذلك من خلال استقراء كتاب الله، وتوصلت الدراسة لنتائج عديدة من أهمها:

أنَّ السبب الأكبر لاستضعاف المسلمين هو البعد عن شرع الله عز وجل وسنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم، فلو عادوا إلى دينهم حقا لانتصروا على عدوهم.

وأما أهم سبل علاج الاستضعاف فتكمن في رجوع الأمة إلى الدستور القرآني والمنهج النبوي تعلماً وعملاً.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة لبنة في هذه السبيل، وأكدت الدراسة على تحقق نصر الله لعباده المستضعفين إذا طرقوا الأسباب المشروعة، وأن عاقبة المستضعف المتقي هو التمكين في الأرض كما بين الله عز وجل في كتابه العزيز.

وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي إلى الصواب.

جدول المحتويات

شكر وتقدير ..... **ج**

المُلخَّص.....**د**

المقدمة **1**

الفصل الأول: التعريف بمفاهيم الدراسة.....**12**

المبحث الأول: مفهوم الاستضعاف.....**13**

المطلب الأول: الاستضعاف في اللغة. 14

المطلب الثاني: تعريف الاستضعاف في الاصطلاح العام. 17

المطلب الثالث: الاستضعاف في الاصطلاح القرآني. 18

المبحث الثاني: المصطلحات ذات الصلة بموضوع الدراسة (الألفاظ المقاربة والألفاظ المقابلة).....**23**

المطلب الأول: الألفاظ المقاربة. 24

المطلب الثاني: الألفاظ المقابلة. 36

المبحث الثالث: عرض موجز لأهم صور الاستضعاف في المنظور القرآني.....**46**

المطلب الأول: الاستهزاء والسخرية. 47

المطلب الثاني: النفي والتشريد والتهديد بالرجم والقتل وغيرها. 51

المطلب الثالث: الفتنة في الدين وممارسة أشكال التضييق.....54

المطلب الرابع: إخفاء الشعائر الدينية. 59

المطلب الخامس: قلة العدد والعدة. 62

الفصل الثاني: أسباب الاستضعاف 65

المبحث الأول: ضعف العقيدة والابتعاد عن اتباع شرع الله 66

المطلب الأول: عدم التركيز على العقيدة الصحيحة. 67

المطلب الثاني: الخطط الغربية لتدمير العقيدة الصحيحة. 71

المبحث الثاني: الاستبداد بشتى صوره 78

المطلب الأول: توظيف الدين لصالح الاستبداد. 79

المطلب الثاني: الاستبداد السياسي. 83

المطلب الثالث: الاستبداد الفكري والثقافي. 86

المطلب الرابع: الدعاية والإعلان الكاذب لصالح الاستبداد. 88

المطلب الخامس: الاستبداد والحصار (قطر مثالا). 92

المبحث الثالث: التفرق واختلاف الكلمة 95

المطلب الأول: استضعاف الأمة وإشغالها عن مهمتها الأساسية. 96

المطلب الثاني: التفرق والتنازع سبيل لاستضعاف الأمة. 98

المبحث الرابع: الركون للظالمين 102

المطلب الأول: تسلط الظالمين بعضهم على بعض: 103

المطلب الثاني: الظلم سبب هلاك الأمم. 107

المطلب الثالث: عقوبة الظالمين. 109

المبحث الخامس: الاستكانة بدعوى الخوف على المصلحة 113

المطلب الأول: الشعور الوهمي بالخوف. 114

المطلب الثاني: ضعف النفس أمام سيطرة الرغبات والأهواء. 118

المبحث السادس: تجاهل السنن الكونية..... 120

المطلب الأول: الغفلة عن تدبر سنن الله. 121

المطلب الثاني: قصر النظر واستعجال النتائج. 125

المبحث السابع: التقليد الأعمى..... 127

المطلب الأول: خطر آثار التقليد الأعمى. 128

المطلب الثاني: التقليد الأعمى وتقليد الأمور السيئة على الأمة. 132

الفصل الثالث: سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم..... 135

المبحث الأول: التمسك بالعقيدة واتباع شرع الله 136

المطلب الأول: التركيز على العلم بالعقيدة الصحيحة. 137

المطلب الثاني: السلطة التي تحمي العقيدة. 141

المبحث الثاني: دور الحرية في تحقيق الشهود الحضاري..... 143

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في بيان الحرية وغرسها في نفس الإنسان... 144

المطلب الثاني: أثر الحرية في النهضة والشهود الحضاري للأمة. 148

المطلب الثالث: قطر الحرية والشهود الحضاري رؤية 2030م. 150

المبحث الثالث: الاتحاد وجمع الكلمة 152

المطلب الأول: قيام الأمة بدورها الأساسي..... 153

المطلب الثاني: السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله..... 157

المبحث الرابع: ترك الوهن والضعف والاستكانة 159

المطلب الأول: طمس معالم اليأس..... 160

المطلب الثاني: كون الوفاء بالعهود والمواثيق ضمانا لكرامة الأمة..... 163

المبحث الخامس: الهجرة..... 166

المطلب الأول: الهجرة المشروعة. 167

المطلب الثاني: العجز عن الهجرة..... 171

المبحث السادس: الجهاد في سبيل الله..... 173

المطلب الأول: الدعوة إلى الله سبيل لحفظ الدين. 174

المطلب الثاني: الإعداد الجيد لمواجهة التحديات. 179

المبحث السابع: تفعيل الحوار مع الآخر..... 181

المطلب الأول: العزة الإيمانية والجهر بالحق والثبات عليه أثناء الحوار. 182

المطلب الثاني: ثمرة الحوار البناء. 185

المبحث الثامن: إعداد جيل مستقيم في الأمة الإسلامية..... 187

المطلب الأول: التزام الأفراد للانخراط في مشروع بناء الأمة. 188

المطلب الثاني: التعبئة الإسلامية لكل فرد في الأمة. 190

المبحث التاسع: نشر ثقافة الاستبشار بالنصر والتمكين في الأرض..... 193

المطلب الأول: إحياء روح الأمل والبشارة..... 194

المطلب الثاني: كون النصر والتمكين سنة من سنن الله في الأمم..... 196

المطلب الثالث: جيل النصر والتمكين وقائد النصر والتمكين (دولة قطر)..... 201

الخاتمة و التوصيات..... 204

قائمة المصادر والمراجع..... 207

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم وبعد...

فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى أنزله بالحق وبالحق نزل، وهو كتاب يقرأ الكون المنظور، فكما أن القرآن الكريم هو معجز بنظمه فالكون كذلك معجز بنظامه وقوانينه الخاضعة لميزان الله تعالى.

وقد أودع الله تعالى القرآن حقائق وسنناً تسير على مقتضاها الأمم، إذا التزمنا بها نكون من خير الأمم وأقواها، وإذا تخلفنا عن تحقيق ما أراده الله تعالى كان مآلنا إلى الضعف والاستضعاف وهذا ما سأتطرق له في هذا البحث.

وإن أعداء الإسلام يحاولون صرف النظر عن القضية العظمى باستضعاف الإسلام وأهله، وذلك بما يثيرونه من قضايا تتعلق بالتغريب والإرهاب وتبديل المفاهيم، ويبرمون وينقضون [1] ولكن الحقيقة أن الإسلام دين الحق ينتشر انتشاراً عظيماً، والله تعالى ناصرٌ دينه مهما يحاك ضده وضد معتنقيه.

ومما لا شك فيه أن أمة الإسلام تمر بفترات مختلفة، فتكون قوية في حين وضعيفة في حين آخر، والغيور دائماً يسعى لتغيير الواقع الانهزامي الضعيف إلى واقع من العزة والسيادة والكرامة.

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ دينه وانتشاره في كل الدنيا رغم الهجمات الشرسة عليه، فدين الله سيعود ليهمين بسلطانه على الكرة الأرضية، وينشر عدالته وتعاليمه

---

(1) انظر: أبو زيد، أحمد، **الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة الدعوة إلى الحق، العدد 145، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، لندن، ص 9، 12، 14.

بين أبناء العالم كما ذكر ذلك في حديث عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً"[1]، فالأمة بإذن الله ستصمد أمام هذه الهجمات الشرسة وستخرج في نهاية المطاف قوية منتصرة.

ولا شك أن هناك فرقاً بين الضعف والاستضعاف، فالضعف أسبابه ذاتية أو طبيعية أما الاستضعاف فهو خارجي وفي رسالتي سأركز على الاستضعاف وقد أتطرق إلى الضعف أحياناً.

ولأنني طالبة قطرية وفي دولة تعرضت لمحاولة الاستضعاف فإنني سأذكر حالة قطر حيث تشابهت الظروف وأعلق عليها بما يناسبها بعيداً عن العاطفة وباللغة الآكاديمية المناسبة.

وسوف نتناول في هذه الرسالة الموضوع الآتي:

(أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم) من خلال الخطة التالية والتي تنقسم إلى ثلاثة فصول رئيسية:

ففي الفصل الأول: سيتم توضيح مفهوم الاستضعاف، وتقديم تصور شامل لاستعمالاته القرآنية، وتبيان أبعاده اللغوية والقرآنية، وكذلك سأتطرق لتعريف الاضطرار والإكراه والوهن والذلة والهوان، كما سيتم الكلام عن المصطلحات والألفاظ ذات الصلة

---

(1) أخرجه مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضها بعضاً، ج 8، ص 171، رقم (7361).

بالاستضعاف، هذه المصطلحات المقاربة والمقابلة، وسيتم إيضاح العلاقة بينها وبين الاستضعاف في القرآن الكريم.

وكذلك سيتم تقديم تصور للاستضعاف في المنظور القرآني من حيث توضيح أقسام الاستضعاف وصوره في القرآن الكريم، فمن خلال التقسيمات سيتم توضيح حال الأمة في ضعفها، وما يحدث من فساد عالمي واستعباد طبقي واغتصاب للأرض كما ذكر في القرآن الكريم، وسنذكر نماذج من الاستضعاف والصراع بين المستكبرين والمستضعفين عبر المنظور القرآني، والاستضعاف الديني والدنيوي من خلال التضييق على الناس سواء في دينهم أو في أرزاقهم ومصالحهم، أو التضييق عليهم في أداء شعائرهم إلى غير ذلك من جوانب.

وفي الفصل الثاني: ستبين الدراسة أسباب وقوع الاستضعاف مثل: ضعف العقيدة، والاستبداد بشتى صوره وغيرها من أسباب.

وفي الفصل الثالث: ستوضح فيه سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم، وما هو التشريع الرباني في حالة الاستضعاف، وما هي سبل علاجه، وكيف يمكن رفع الاستضعاف كما ورد في القرآن الكريم، وسنقترح العلاج المناسب لتقوية الأمة ضد أعدائها المتربصين بها.

أولاً: إشكالية البحث وأسئلته:

مرت الأمة بحالات من الشعور بالضعف أمام ما يتربص بها من دوائر داخل حصونها أو خارجها، وفي حالات الشعور بالضعف قد تنهار مقاومة الضعفاء أمام ضغوط الأقوياء، وقد يستضعف المرء معتقداً أو متوهماً أنه لا يملك الثبات على الحق، والواجب ألا يكون ذلك مسوغا للضعف والاستسلام، لذلك فإن البحث يجيب عن الأسئلة الآتية:

1- ما الاستضعاف، وما الفرق بين الاستضعاف وغيره من المصطلحات المشابهة له؟
2- ما صور الاستضعاف في القرآن الكريم؟
3- ما أسباب وقوع الاستضعاف؟
4- ما سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم؟
5- ما أسباب النصر والتمكين في القرآن الكريم التي تمكن الأمة الإسلامية من أن تنهض بعد الاستضعاف؟

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

أ- **أسباب ذاتية:** تأملت واقع أمتنا الإسلامية فارتد بصري حزيناً من واقع ما تعانيه، فوليت وجهي شطر القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كي أعرف أسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن وأتدبر في سوره وآياته، وأدرك أحكامه، وأجني العبر منه، واستنبط الحكمة من معانيه.

ب- **أسباب موضوعية:**

1- التعريف بمفهوم الضعف والاستضعاف ومدلولاته من خلال البحث واستقراء الآيات القرآنية.

2- خدمة لكتاب الله عز وجل من خلال استقراء الآيات الدالة على الاستضعاف وإيضاحها.

3- نشر سبل علاج الاستضعاف لحاجة الأمة إليه مجتمعاً وأفراداً، وذلك بالتأمل في الآيات الدالة على ذلك واستقراء الآيات التي توضح سبل علاج الاستضعاف.

4- بيان التشريع الرباني الذي ينبغي اتباعه لرفع الاستضعاف ودفعه.

5- استخلاص اللطائف والفوائد بتدبر آيات الاستضعاف والوقوف على عاقبة المستضعفين.

6- تجلية حالة الانهزام بين كثير من المسلمين، وعدم ثقتهم بمقومات دينهم على النهوض، إضافة إلى افتتان آخرين بالنموذج الغربي.

ثالثاً: أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

1- الحاجة إلى جمع المسائل وبيان الأحكام المتصلة بهذا الموضوع.

2- أهمية معرفة المنهج القرآني في التعاطي مع حالة الاستضعاف.

رابعاً: أهداف البحث:

1- الوقوف على مفهوم الاستضعاف وصوره في القرآن الكريم وسبل علاجه.
2- محاولة حصر حالات الاستضعاف ومظاهرها.
3- الوقوف على أسباب وقوع الاستضعاف.
4- توضيح منهجية القرآن الكريم في علاج الاستضعاف.
5- وضع الضوابط التي تحدد موقف الأمة الإسلامية وولاة أمرها في مرحلة الاستضعاف.

خامساً: فرضيات البحث:

1- توجد في القرآن الكريم منهجية واضحة للتعامل مع الاستضعاف من خلال معرفة مفهومه وصوره.
2- توجد في القرآن الكريم منهجية واضحة للخروج من الاستضعاف وتحقيق أسباب النصر والتمكين.
3- مراعاة منهجية القرآن الكريم في دفع الاستضعاف ورفعه، يؤدي إلى تحقيق الأمة لأسباب النصر والتمكين.

سادساً: حدود البحث:

تنحصر هذه الدراسة حول بيان مفهوم الاستضعاف في القرآن الكريم، وبيان مفصّل لأسباب الاستضعاف وسبل علاجه في القرآن الكريم، حيث يتم استقراء الآيات المتعلقة بموضوع البحث ومن ثم تحليل الآيات وتفسيرها واستنباط المنهج القرآني المتعلق بذلك.

سابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على ما كتب حول الموضوع، وجدت مجموعة من الدراسات، وأكثر هذه الدراسات التي تمكنت من الاستفادة منها هي الآتية:

1- الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (كتاب كان أصله رسالة دكتوراه، رسالة علمية نال صاحبها درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بالمملكة

المغربية، تحت إشراف أ. د الشاهد البوشيخي)، تأليف مصطفى أوعيشة، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2014م.

يحتوي الكتاب على مقدمة وبابين وخاتمة على النحو الآتي:

فأما المقدمة فذكر فيه المؤلف موضوع البحث ودوافعه والمنهج المتبع ثم عرض محتواه والصعوبات التي اعترضت المؤلف خلال فترة إنجاز البحث.

الباب الأول: خصصه الباحث للنظر في مفهوم الاستكبار والاستضعاف من زاوية الدراسة المصطلحية، ويتكون الباب من أربعة فصول هي:

الفصل الأول: درس فيه الباحث دلالة الاستكبار والاستضعاف في اللغة والاصطلاح، ويشتمل على مبحثين:

أولهما: مفهوم الاستكبار والاستضعاف دراسة معجمية لغوية واصطلاحية.

والثاني: مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: خصص لدراسة علاقات الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم بغيرهما من الألفاظ المؤالفة والمخالفة وكان ذلك في مبحثين:

الأول: خاص بعلاقات الاستكبار ائتلافا واختلافا.

والثاني: خاص بعلاقات الاستضعاف.

أما الفصل الثالث: فخصصه المؤلف لدراسة ضمائم الاستكبار والاستضعاف.

وأما الفصل الرابع: فخصصه الكاتب لدراسة مشتقات الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم.

ثم ينتقل المؤلف إلى الباب الثاني الذي تناول فيه قضايا الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم من زواية التفسير الموضوعي، وينقسم إلى أربعة فصول أيضاً: الفصل الأول: خصص لدراسة أسباب الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم، والفصل الثاني خصص لمظاهر الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم، أما الفصل الثالث فبين فيه المؤلف جزاء المستكبرين والمستضعفين في القرآن الكريم، ثم في الفصل الرابع ذكر سبل مقاومة وعلاج داء الاستضعاف، ثم انتهى البحث بالخاتمة.

ويتبين لنا من خلال الدراسة السابقة تركيز الباحث على الدراسة المصطلحية وإن كان هناك تناول موضوعي، لكن الدراسة المصطلحية أكثر، وتختلف دراستي في أنها تناولت الأمر في ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول سوف أتناول الألفاظ المقابلة والألفاظ المقاربة من حيث اللغة ومن ثم في الاصطلاح، ومن ثم في الاستعمال القرآني إذا لم يوجد تعريف اصطلاحي، وقد ألجأ إلى المقارنة بين الألفاظ لسبل التوصل إلى تعاريفها ومقارنتها مع الاستضعاف.

ثم أذكر عرضاً موجزاً لأهم صور الاستضعاف في القرآن الكريم، ويلي ذلك الفصل الثاني الذي يتم فيه ذكر أسباب الاستضعاف ثم في الفصل الثاني يتم تناول سبل علاج الاستضعاف.

2- المستضعفون في صدر الإسلام (أطروحة): محمد فارس بشير-جامعة النجاح الوطنية- نابلس-فلسطين-2012م.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وثلاث فصول على النحو الآتي: الفصل الأول: تناول فيه الباحث مفهوم الاستضعاف في اللغة وفي القرآن وفي السنة، والفصل الثاني: تناول الباحث فيه دراسة المستضعفين عشية ظهور الإسلام، والفصل الثالث: تناول موقف الدولة الإسلامية من المستضعفين.

ويتبين من الدراسة السابقة تركيز الباحث على تقديم صورة مجملة عن المستضعفين صدر الإسلام، وأما في الفصل الثالث فقد ناقش الباحث موقف الدولة الإسلامية من المستضعفين حيث أكرمهم وجعلهم جنوداً للدعوة.

وستتوافق دراستي مع الباحث في تناوله لمفهوم الاستضعاف إلا أنني سأضيف مفهوم الاستضعاف في القرآن الكريم وسأوضح الألفاظ المقاربة والمقابلة، كما أنني سأناقش أسباب وقوع الاستضعاف وسبل العلاج المترتبة على تلك الأسباب، إلى أن أنتهي إلى أن النصر والتمكين سنة كونية من سنن الله لعباده المستضعفين وهذا ما لم يتناوله الباحث في دراسته.

3- هدايات القرآن المبين لعباد الله المستضعفين-دراسة موضوعية (رسالة دكتوراه): محمد بن ناصر الحميد، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاث فصول وخاتمة على النحو الآتي: الفصل الأول: تناول الباحث فيه حقيقة الاستضعاف وتوضيح المراد من المستضعِف والمستضعَف، والفصل الثاني: تناول الباحث فيه أسباب وقوع الاستضعاف. وأما في الفصل الثالث فتناول الباحث الهدايات القلبية للمستضعفين.

ويتبين من الدراسة السابقة تركيز الباحث على أسباب وقوع الاستضعاف والهدايات القلبية للمستضعفين، دون تطرق الباحث لغالب الموضوعات التي تناولها بحثي هذا.

4- منهج القرآن الكريم في حماية المستضعفين، دراسة موضوعية (رسالة ماجستير): عبد السلام عبد القادر محمد التواتي-جامعة أم درمان-السودان-2011م.

تحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة على النحو الآتي: الباب الأول: استعرض فيه الباحث أهم الأسباب والوسائل التي تؤدي للاستضعاف، والباب الثاني: استعرض الباحث فيه مظاهر رعاية القرآن الكريم للمستضعفين من المسلمين والمستضعفين من غير المسلمين.

ويتبين من الدراسة السابقة تركيز الباحث على الأسباب والوسائل التي تؤدي للاستضعاف ومظاهر رعاية القرآن للمستضعفين، دون تطرقه لغالب الموضوعات التي تناولها بحثي هذا.

5- الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي (رسالة دكتوراه) هو كتاب مطبوع وفي الأصل رسالة دكتوراه: لزياد عابد المشوخي-كلية الشريعة والقانون- جامعة أم درمان الإسلامية – السودان – 1432هـ،2011م.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة وثلاثة أبواب على النحو الآتي:

الباب الأول: تناول فيه الباحث تعريف الاستضعاف وأنواعه ومظاهره، والباب الثاني: تناول فيه الباحث أسباب الاستضعاف ووسائل دفعه، والباب الثالث: تناول فيه الباحث أحكام الاستضعاف.

ويتبين مما سبق أن دراسة الدكتور المشوخي هي من أوسع الدراسات في هذا المجال، ولكنها دراسة في المجال الفقهي، وليست دراسة موضوعية للاستضعاف

في القرآن، وكذلك ركز الباحث على مفهوم الاستضعاف بوجه عام في القرآن الكريم، كما أنه تناول أسباب وقوع الاستضعاف ووسائل دفعه، وسيكون تناول الباحثة للاستضعاف في هذه الرسالة تناولاً مختلفاً عن دراسة المشوخي في جل المباحث.

6- الاستضعاف والمستضعفون في القرآن الكريم- دراسة موضوعية: لصباح ناصر عبد الله الطليان – جامعة الرياض – المملكة العربية السعودية، لم أتمكن من العثور عليها أو تنزيلها.

وهناك من تناول موضوع الاستضعاف بطرق متعددة وضمن مواضيع مختلفة حيث ذكر حركة الكون وسير التاريخ، وقيام الحضارات وسقوطها، وأسباب التقدم والتأخر، وذكر الازدهار والانحطاط بين الناس، وسنن التمكين والنصر وغيرها، وهذه الدراسات ليست في الاستضعاف، وإنما أدرجت الحديث عن الاستضعاف ضمناً.

من هذه الكتب التي قرأتها وتمت الاستفادة منها:

1- مفهوم السنن الربانية من الفهم إلى التسخير- دراسة في ضوء القرآن الكريم: رمضان خميس زكي الغريب.

2- سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم: رمضان خميس زكي الغريب.

3- السنن الربانية أعمدة صناعة الحياة، دراسة تطبيقية على سنن التغيير والبناء والعاقبة: عبد السلام مقبل المجيدي.

4- مقال (السياسة الشرعية بين فقه الاستضعاف وفقه التمكين): عبد الله شاكر الجنيدي.

5- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم: علي محمد محمد الصلابي.

وتمكنت من الاستفادة من الكتب السابقة حيث يوجد تطابق كلي بين قوانين الله في الكون والقوانين بين بني الإنسان، وكيفية الأخذ بأسباب النصر والتمكين وشروط تحقيق التمكين ومواصفاته، والمظاهر الحضارية لدولة التمكين.

ثامناً: منهج البحث:

- سيتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي في هذه الدراسة: بحيث يتم تجميع الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الدراسة، ثم تبويبها وترتيبها بما يتناسب وفصول هذه الدراسة ومباحثها ومطالبها، ومن ثم تجميع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من كتب التفسير القديمة والحديثة، واستخراج القيم والتوجهات والحكم المتعلقة بموضوع الدراسة.
- ومن خلال هذه الدراسة سوف أبرز تلك الحالات المتنوعة وخاصة المتصلة بالمنهج القرآني للاستضعاف: أسبابه وسبل علاجه في القرآن الكريم.

وستقوم الباحثة بأمور منهجية إضافية منها:

- تخريج الآثار والأحاديث من مصادرها وبيان درجتها من حيث الصحة والضعف.
- عند تطابق المعنيين اللغوي والاصطلاحي في التعاريف أقدم الاستعمال القرآني لتعلقه بموضوع بحثي.

تاسعاً: هيكل البحث:

يتضمن البحث مقدمة وثلاثة فصول مقسمة لمباحث ومطالب وخاتمة، سيتم تذييلها بفهرست المصادر والمراجع.

الفصل الأول:

المبحث الأول: مفهوم الاستضعاف.

(تعريف الاستضعاف لغة واصطلاحاً، وفي الاستعمال القرآني).

المبحث الثاني: المصطلحات ذات الصلة بموضوع الدراسة.

(الألفاظ المقاربة والألفاظ المقابلة)

المبحث الثالث: عرض موجز لأهم صور الاستضعاف في المنظور القرآني.

الفصل الثاني: أسباب الاستضعاف:

المبحث الأول: ضعف العقيدة والابتعاد عن اتباع شرع الله.

المبحث الثاني: الاستبداد بشتى صوره.
المبحث الثالث: التفرق واختلاف الكلمة.
المبحث الرابع: الركون للظالمين.
المبحث الخامس: الاستكانه بدعوى الخوف من المصلحة.
المبحث السادس: تجاهل السنن الكونية.
المبحث السابع: التقليد الأعمى.
الفصل الثالث: سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم.
المبحث الأول: التمسك بالعقيدة واتباع شرع الله.
المبحث الثاني: دور الحرية في تحقيق الشهود الحضاري.
المبحث الثالث: الاتحاد وجمع الكلمة.
المبحث الرابع: ترك الوهن والضعف والاستكانة.
المبحث الخامس: الهجرة.
المبحث السادس: الجهاد في سبيل الله.
المبحث السابع: تفعيل الحوار مع الآخر.
المبحث الثامن: إعداد جيل مستقيم في الأمة الإسلامية.
المبحث التاسع: نشر ثقافة الاستبشار بالنصر والتمكين في الأرض.
الخاتمة والتوصيات.
قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول:

يتناول التعريف بمفاهيم الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الاستضعاف.

(تعريف الاستضعاف لغة واصطلاحا وفي الاستعمال القرآني)

المبحث الثاني: المصطلحات ذات الصلة بموضوع الدراسة.

(الألفاظ المقاربة والألفاظ المقابلة)

المبحث الثالث: عرض موجز لأهم صور الاستضعاف في المنظور القرآني.

المبحث الأول:

مفهوم الاستضعاف

المطلب الأول: الاستضعاف في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الاستضعاف في الاصطلاح العام.

المطلب الثالث: الاستضعاف في الاصطلاح القرآني.

المبحث الأول:

مفهوم الاستضعاف (تعريف الاستضعاف لغة واصطلاحا وفي الاستعمال القرآني).

المطلب الأول: الاستضعاف في اللغة.

استضعاف: استفعال من ضعف، ومادة (ض ع ف)، "لها أصلان متباينان:

الأول: خلاف القوة. والثاني: أن يزاد الشيء مثله فيجعل مثلين أو أكثر"[1].

والمقصود في هذه الدراسة هو الأصل الأول: (خلاف القوة)، ويستعمل الضعف في ضعف الرأي وضعف البدن.

وأضاف ابن الجوزي على المعاني التي ذكرها ابن فارس المعاني الآتية:

أحدها: "العجز، كما في قوله تعالى: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: 76]، وفي الأنفال قوله تعالى: {وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} [لأنفال: 66]"[2]، فالعجز بمعنى عدم الاستطاعه.

والثاني: "قلة الصبر، ومنه قوله تعالى: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28]"[3].

و"الثالث: الضرير، ومنه قوله تعالى: {وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا}" [هود: 91] [4] أي "كان مصابا ببصره قاله سعيد ابن جبير وقتادة" [5].

---

(1) ابن فارس، أحمد أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الفكر، ط 1399هـ - 1979م، ج3، ص 362.

(2) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق/ محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ط 1، 1404هـ – 1984م، ص 405.

(3) ابن الجوزي، المرجع السابق، ص405.

(4) ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 406.

(5) القرطبي، أبو عبد الله محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط 2، 1387 هـ – 1964 م. ج9، ص91.

"والرابع: الزمن، ومنه قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى} [التوبة: 91]"[1].

"والخامس: القهر، ومنه قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص: 5]"[2]، فالآية تدل على أن فرعون وجد جماعة منهم ضعيفة في الفكر وقابلة للاتباع فقام بذلهم وذبحهم واستعبادهم واستحقارهم، وكذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي} [الأعراف: 150]،"أي حسبوني ضعيفاً لا ناصر لي، لأنهم تمالؤوا على عبادة العجل، ولم يخالفهم إلا هارون عليه السلام في شرذمة قليلة"[3].

"والسادس: كما تدل العبارة على السفُول من الناس، ومنه قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} [سبأ: 33]"[4]، فهم ليسوا ضعفاء الجسم بل بسبب تبعيتهم وضعف رأيهم فهؤلاء هم الأتباع والعوام وضعفاء الرأي والمستحقرون والمستذلون.

" والسابع: النطفة، ومنه قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} [الروم: 54]"[5].

والاستضعاف اشتقاق من الضعف، يقال: استضعف يستضعف استضعافاً، فالزيادة بالألف والسين والتاء أي الزيادة إلى ما لا نهاية، كما في قراءة الجمهور: {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 38] وهو أحد معاني صيغة استفعل[6].

---

(1) ابن الجوزي، **نزهة الأعين والنظائر في علم الوجوه والنظائر**، ص 406.

(2) ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 406.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بالتحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، 1997م، ج 9، ص 117.

(4) ابن الجوزي، **نزهة الأعين والنظائر في علم الوجوه والنظائر**، ص 406.

(5) ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 406.

(6) أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ، ج1، ص 23.

فمعظم كتب المعاجم اللغوية حصرت معنى الضعف ودلالاته اللغوية سواء أكانت حسية أو معنوية في المعاني التي أشرنا إليها، أما الاستضعاف فله علاقة ببعضها مثل: خلاف القوة، والقهر وغيرهما.

وانطلاقا من المعاني المستخرجة من المعاجم اللغوية، سوف أبين في هذه الرسالة ما كان مغايرا لمعنى القوة كالوهن والضعف والذل والتسفل والقهر.

ومن دقيق ما بينته المعاجم هو الفرق بين الضَعف والضُعف والضِعف:

الضُعف بالضم "يكون في الجسد خاصة، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} [الروم: 54] (1).

والضَعف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل، "يقال في رأيه ضَعف ولا يقال فيه ضُعف كما يقال في جسمه ضَعف وضُعف"(2).

أما الضِعف بالكسر فهو المثل، كما في قوله تعالى: {يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [الأحزاب: 30] فالضِعف المثل إلى ما زاد (3).

وفرق ابن الأعرابي بين ما هو مضموم الضاد وما هو مفتوح الضاد.

الضُعف في الجسد:

ومن يلق خيراً يغمز الدهر عظمه على ضَعَف من حاله وفتور

والضَعف في الرأي والجسد:

ولا أشارك في رأي أخا ضَعْف ولا ألين لمن لا يبتغي ليني (4)

---

(1) العسكري، أبو هلال الحسن، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ص115.

(2) العسكري، المرجع السابق، ص 116.

(3) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، تحقيق/ محمد العرقسوسي، ط 8، 1426هـ – 2005م، ج1، ص380.

(4) الزبيدي، محمد بن محمد الملقب بمرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، مجموعة من المحققين، ط2، طبعة الكويت. ج 24، ص 48.

المطلب الثاني: تعريف الاستضعاف في الاصطلاح العام.

من خلال دراسة واقع الحقبة التاريخية التي استخدم فيها هذا اللفظ بدءاً من العصر الجاهلي، ووصولاً إلى نهاية الدولة العباسية عندما سقطت بغداد عام 656هـ، وخلال الدولتين الفاطمية والعثمانية، نجد أن هذا المصطلح يعد شائعاً بين الدعاة وذلك لما تمر به أمتنا اليوم من ضعفٍ وعدم وجود الظروف الملائمة لترسيخ الدعوة بشكلها الطبيعي، فكأننا نعيش العهد المكي، وبناءً على ذلك يمكننا طرح بعض التعريفات الاصطلاحية لمصطلح الاستضعاف [1].

عرفت مرحلة الاستضعاف لدى الدعاة بأنها: "المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية في ظل صراع مع منهج غير إسلامي، يقوم على الظلم والعدوان ومصادرة الحقوق يتزامن مع ذلك عمل المسلمين الجاد للخروج من قيد الاستضعاف إلى التمكين "[2].

وكذلك يدور معنى الاستضعاف حول حال الأمة كما ذكرت سابقاً إذا قارنا حال الأمة اليوم وفترات ضعفها في العهد المكي، ومن هذه التعريفات تعريف مصطفى أوعيشة وهو: ما يقع على المستضعفين من القهر والاستعباد والفتنة في الدين. [3]

والضعيف الذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه لفقره، قال ابن الأثير:" يقال تضعفته واستضعفته بمعنى، للذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال". [4]

وعليه سيتمحور الكلام في هذه الرسالة، حول التسلط على المسلم من قبل الأفراد أو الجماعات بحيث لا يتمكن من القيام بأداء ما له وما عليه.

---

(1) بشير، محمد فارس، **المستضعفون في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م، ص12-27.

(2) المشوخي، زياد عابد، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط 1، 1433هـ – 2012م، ص22.

(3) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي**، ط1، 1435هـ، 2014م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر – القاهرة. ص47.

(4) ابن منظور، محمد أبو الفضل، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط 3، 1414 هـ. ج 9، ص 204.

المطلب الثالث: الاستضعاف في الاصطلاح القرآني.

ورد لفظ ومادة (ض ع ف) وما تصرّف منها سواء كان بمعنى الاستضعاف وهو موضوع البحث، كقوله تعالى: {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} [النساء: 75]، أو بمعنى الضعف كقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} [البقرة: 261]، أو بمعنى الضُعف في أربع وخمسين موضعاً كما في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم [1]، وقد اختص الاستضعاف منها بأربع عشرة آية منها عشرٌ في العهد المكي، وأربع في العهد المدني.

صيغ مادة الضعف واشتقاقتها في القرآن الكريم:

قد وردت صيغ مادة الضعف واشتقاقاتها في القرآن الكريم على النحو الآتي:

أولاً: الصيغ الاسمية:

(ضَعْف): ورد في أربعة مواضع اسماً.

(ضَعِيف): ورد في أربعة مواضع اسماً، على وزن فعيل.

(أَضْعَفُ): ورد مرتين، وأضعف اسم تفضيل على وزن أفعل.

(ضِعَاف): ورد مرة واحدة على وزن فعال، وهو جمع ضعيف.

(ضُعَفَاءُ): ورد أربع مرات على وزن فعلاء، وهو جمع ضعيف [2].

ورد المصطلح أيضاً بصيغة جمع المذكر السالم خمس مرات، مرة مرفوعاً نحو: {مُسْتَضْعَفُونَ} [الأنفال: 26]، ومرة مجروراً نحو: {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} [النساء: 75]، وثلاث مرات منصوباً نحو: {قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ} [النساء: 97]، و{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ} [النساء: 98]، و{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} [النساء: 127].

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث – القاهرة، سنة 1364 هـ ص517.

(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق/ صفوان داوودي، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط 1، 1412هـ، ج 1، ص 506.

ثانياً: الصيغ الفعلية:

(ضَعُفَ، اسْتَضْعَفُونِي، اسْتُضْعِفُوا): ورد المصطلح ثلاث مرات بصيغة الفعل الماضي مبنياً للمعلوم مرتين، ومبنياً للمجهول مرة واحدة.

(يُسْتَضْعَفُونَ، يَستَضْعِفُ، يُضَاعِفَهُ، فَيُضَاعِفَهُ، يُضَاعِفهَا، يضاعف): ورد المصطلح ست مرات بصيغة الفعل المضارع: واحدة منها مبنياً للمجهول، وخمسة منها مبنياً للمعلوم، ولم يرد المصطلح بصيغة الفعل الأمر [1].

نلاحظ مما سبق أن مادة (ضعف) وتصريفاتها في القرآن الكريم جاءت ضمن مجموعتين تبعاً للمعنى:

المجموعة الأولى: (يُضَاعِفَهُ، فَيُضَاعِفَهُ، يُضَاعِفهَا، يضاعف، ضِعفٌ، ضِعفاً، ضِعفَينِ، أَضعَافاً، مُضَاعَفَة، ٱلمضعِفُونَ) [2].

المجموعة الثانية: (ضَعُفَ، استُضعِفُوا، يُستَضعَفُون، يَستَضعِفُ، ضَعف، أَضعَفُ، ضَعِيفاً، ضِعَاف، ضُعَفَاءُ، مُستَضعَفُونَ) [3].

فالمجموعة الأولى هي مشتقة من الضِعف بكسر الضاد، وهي تحمل المعنى الثاني الذي ذكره ابن فارس وهو أن يزاد الشيء مثله مثلين أو أكثر.

أما المجموعة الثانية فهي مشتقة من الضَعف بفتح الضاد أو ضمها، فهي تحمل المعنى الأول الذي ذكره ابن فارس وهو خلاف القوة.

ويلاحظ على هذا الورود ما يأتي:

1- أن مادة (ض ع ف) وردت في العهدين المكي والمدني وإن كانت في العهد المكي أكثر، ولعل ذلك يرجع إلى تمكن الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، دار الكتب العلمية، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، ط 1، 1424هـ – 2003 م، ج1، ص281.

(2) محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص533، 534.

(3) محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع السابق، ص533، 534.

2- أن المادة وردت بصيغة الماضي والمضارع ولم ترد بصيغة الأمر، حيث لا أمر بالضعف.

3- أن صيغ ورود الاستضعاف دارت حول اسم المفعول وذلك يدل على عدم ثبات وصف الاستضعاف، ووردت المادة بصيغة المبالغة (أفعل وفعال) وفي هذا إشارة إلى اختلاف درجات الضعف [1].

4- "ورد لفظ الاستضعاف فعلاً مبنياً للمجهول في معظم الموارد للدلالة على أنه فعل واقع على فئة من الناس، لإيمانهم أو لضعفهم حساً ومعنى"[2].

ثالثاً: المواضع التي ورد فيها الاستضعاف في العهدين المكي والمدني:

في العهد المكي:

الموضع الأول: موضع الحوار بين المستكبرين والمستضعفين وهذه الحوارات كانت على النحو الآتي:

- حوار قبل البعثة وكان في سياق تشكيك الكفرة للعامة من قوم صالح.
- حوار يدور أمام الحق سبحانه يوم القيامة، وفي هذا الحوار يحاول المستضعفون أن يلقوا تبعات ما هم فيه على المستكبرين.
- حوار يتبرأ فيه المستكبرون من المستضعفين يوم القيامة حيث كانت الآيات في سياق تخاصم الأتباع والمتبوعين يوم القيامة [3].

الموضع الثاني: استضعاف بني إسرائيل لسيدنا هارون عليه السلام وقصة استضعاف بني إسرائيل على يد فرعون ومن ذلك:

---

(1) الغريب، رمضان، **معالم السنن الربانية في أحداث الثورة المعاصرة (25 يناير 2011، رؤية قرآنية تأصيلية)، بدون تاريخ نشر، ص37-38**.

(2) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص46.

(3) أوعيشة، مصطفى، المرجع السابق، ص 47.

- استضعاف بني إسرائيل لسيدنا هارون عليه السلام فهم ظنوا بأنه ضعيف لا ناصر له فتركوا طاعته واتباع أمره.
- استضعاف بني إسرائيل على يد فرعون حيث استعبدهم واستحقرهم وقام بذبحهم وإهانتهم.

الموضع الثالث: وهي مرحلة مكن الله سبحانه وتعالى فيها لبني إسرائيل ومن عليهم بالوراثة بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض.

في العهد المدني:

الموضع الأول: يوضح فيه ضرورة القتال من أجل نصرة دين الله ونصرة المستضعفين العُزّل الموجودين بمكة المكرمة في بداية الدعوة.

الموضع الثاني: كان في إلقاء اللوم على المستضعفين الذين كان بإمكانهم الهجرة ونصرة الإسلام ولم يفعلوا، بسبب عدم القدرة، لذلك لم يهاجروا.

الموضع الثالث: يبين من هم المستضعفون حقاً والذين يمكن التماس العذر لهم، فكانت هناك موانع حقيقية تمنعهم من الهجرة.

الموضع الرابع: هو تذكير الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بنعمه بعد تمكنهم وعزتهم بواقع الاستضعاف والقلة التي كانوا عليها بمكة [1].

إذن الاستضعاف من القضايا المهمة التي عالجها القرآن الكريم وأولاها عناية خاصة، حيث عالج قضايا المستضعفين بجميع أنواعهم، وعند معالجة مفهوم قرآني لا بد من النظر في البعدين المعرفي والنفسي لهذا المفهوم.

" فأما البعد المعرفي فهو يتمثل فيما يحمله المصطلح من دلالات معنوية ترتقي من مستوى المعاني الجزئية لتكون قضايا كلية كبرى، ومبادئ عامة، بل وأصولاً مذهبية أحياناً، فكل مصطلح قرآني قد وضع عنواناً لقضية كبرى وليست عنواناً لمعنى جزئي.

(1) مصطفى أوعيشة، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص48.

وأما البعد النفسي فهو يتمثل فيما يحمله المصطلح من طاقة تأثير على النفوس، من شأنها أن تكون تعبئتها لاستيعاب المعاني التي وضعت لها استيعاباً عميقاً، وأن تستنفرها من أجل تطبيقها في الواقع، وذلك من خلال الصياغة التي صيغ بها المصطلح، ومن خلال البناء الدلالي الذي بني عليه"[1].

والتعريف الذي يمكن أن يكون تعريفاً لمصطلح الاستضعاف في القرآن الكريم من خلال البعدين المعرفي والنفسي هو: "فعل واقع على المستضعفين، إنه طلب الضعيف بالقهر لاستعباده وفتنته في دينه" [2].

وإذا تناولنا قضايا الاستضعاف في القرآن الكريم حسب ورودها في الكتاب العزيز سنجد مدى ارتباطها بكلٍ من البعدين النفسي والمعرفي، كما أن التناول لهذا المصطلح ينبغي أن يكون نابعاً من تعلقنا به، بحيث يكون نبراساً ينير لنا تاريخ أمتنا ويمكن اعتبارها خطة لبناء مستقبل الأمة بعد ذلك.

---

(1) النجار، مصطفى، **ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإنسانية، مفهوم مصطلح الشهادة على الناس في القرآن وأبعاده الحضارية**، الرباط 1996م، ص19.

(2) أوعيشة، مصطفى **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص47.

المبحث الثاني:

المصطلحات ذات الصلة بموضوع الدراسة (الألفاظ المقاربة والألفاظ المقابلة).

المطلب الأول: الألفاظ المقاربة.

المطلب الثاني: الألفاظ المقابلة.

المبحث الثاني:

المصطلحات ذات الصلة بموضوع الدراسة (الألفاظ المقاربة والألفاظ المقابلة).

المطلب الأول: الألفاظ المقاربة.

تعددت الكلمات التي تشترك مع الضعف في مفهومها، وسأوضح في هذا البحث هذه الألفاظ من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي وما وجه الفرق بينها وبين الاستضعاف، ولعل هذه التعريفات تظهر لنا وجه الشبه أو الفرق بينها وبين الاستضعاف.

وهذه الألفاظ هي:(الوهن والاستكانة والذلة والهوان والمسكنة والإكراه.)

أولا: الوهن:

1- في اللغة:

ذكر ابن فارس أن وهن:"كلمتان تدل إحداهما على ضَعف، والأخرى على زمان."[1]

وأما المعنى الثاني للوهن فيطلق على ساعة مظلمة من منتصف الليل باعتباره ضعفاً طبيعياً يقع فيها. [2]

والوهن: هو الضَّعفُ في العمل والأمرِ، وكذلك في العظم ونحوه، تقول: قد وهنَ العظمُ يَهِنُ وَهْناً وأوهنه، ورجل واهنٌ في الأمر والعمل، وموهنٌ في العظم والبدن، وقد وهن الإنسان، ووهنه غيره [3]، وقال الراغب الوهن:" ضعف من حيث الخَلَق والخُلق"[4]، كما

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج6، ص149.

(2) ابن فارس، المرجع السابق، ج 6، ص 150.

(3) الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق/ محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 2، ص 377.

(4) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص 887.

قال تعالى: {وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} [لقمان: 14]، أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفاً على ضعف"[1].

وذكر في معجم المصطلحات الإسلامية أن معنى الواهن بأنه واهن في الأمر والعمل والبدن [2]، وكذلك فقد اتفق الشيخ عبد الرحيم المناوي مع الراغب في تعريف الوهن [3].

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

يقترب المعنى اللغوي للوهن من المعنى الاصطلاحي: "فالوَهْن والوَهَن: الضعف في العمل، وقيل الضعف من حيث الخلق والخلق"[4].

وفي تهذيب اللغة:" هو الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوها"[5]، كما في قوله تعالى على لسان زكريا: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} [مريم: 4].

وجاء في المعنى الاصطلاحي:" الوهن بداية الضعف ومحله القلب وهو ينضح على الجوارح ضعفاً"[6].

وكذلك جاء في المعنى الاصطلاحي للوهن أنه: حب الدنيا وكراهية الموت، كما في حديث ثوبان: قال صلى الله عليه وسلم:" توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: بل وأنتم كثير،

---

(1) الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص 887.

(2) عبد الجواد، إبراهيم رجب، **معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير**، دار الآفاق العربية، الشركة الدولية للطباعة، ط1، 1423 هـ – 2002 م، ص 310.

(3) المناوي، زيد الدين محمد، **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب، القاهرة–مصر، ط 1، سنة 1410 هـ – 1990 م. ص341.

(4) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج 5، ص287.

(5) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج6، ص234.

(6) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، مطابع أخبار اليوم، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج3، ص 1806.

ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت" [1].

فحب الدنيا هو ضعف يصيب الإنسان في إيمانه، فيقوي لديه الرغبة في الدنيا وزنيتها والإعراض عن الآخرة ونعيمها.

وجاء ذكر الوهن ومشتقاته في القرآن الكريم في عشر مرات [2]، في خمس سور حيث ورد بمعنين مادي ومعنوي.

المعنى المادي:

أتى الوهن بمعنى الضعف وعدم التماسك، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً يوضح الضعف في صورة مادية ملموسة ومرئية لبيت العنكبوت، في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 41].

ففي هذه الآية ضرب الله سبحانه وتعالى لنا مثلاً أن من يتخذ ولياً من دونه ظاناً أنه ينفعه في شيء فهو واهنٌ، كمثل العنكبوت التي تتخذ بيتاً من الخيوط على الجدران كما ذكر في الآية أنه أوهن البيوت [3].

فالوهن هو الذي يجعل الأمة تستمرئ الذل وترضى بالدنية وتسود حياتها ثقافة الانهزام والنفاق والعبودية لغير الله [4].

المعنى المعنوي:

---

(1) أخرجه أحمد، ابن حنبل الشيباني، **مسند أحمد**، جمعية المكنز الإسلامي، ط 1، 1431هـ – 2010م، باقي مسند الأنصار– من حديث ثوبان رضي الله عنه، رقم 22832؛ وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق/ محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، أول كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، رقم 4297، ج4، ص 111.

(2) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص830.

(3) الماتريدي، محمد أبو منصور، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، سنة 1426 هـ – 2005م، ج 8، ص 229.

(4) الشحود، علي بن نايف، **موسوعة البحوث والمقالات العلمية**، باب الموت والشهادة في سبيل الله، ص2.

بعد هزيمة المسلمين في موقعة أحد وجه الله سبحانه وتعالى لهم الخطاب كي لا يضعفوا نفسياً ولا يتمادوا في الحزن على الشهداء كما في قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139]، "وهذا ذكرٌ من الله تعالى فيه تعزية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد، قال: ولا تهنو ولا تحزنوا يا أصحاب محمد، يعني بذلك ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح، عن جهاد عدوكم وحربهم، من قول القائل: وهن فلان في هذا الأمر فهو يهن وهناً، ولا تحزنوا: ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذٍ، فإنكم أنتم الأعلون، أي الظاهرون عليهم، فلكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم، إن كنتم مصدقين للنبي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فيما يعدكم وفيما ينبئكم"[1]، فالنفس المؤمنة تصبر على ما أصابها وتوقن بأن ما أصابها هو بإذن الله وأن عليها الصبر في كل الأحوال.

3- الفرق بين الاستضعاف والوهن:

توجد فروق عديدة بين الضعف والوهن منها:

- "أن الضعف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى، كما أن القوة من فعل الله تعالى تقول: خلقه الله ضعيفاً، أو خلقه قوياً، وفي القرآن {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28] والوهن: هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} [آل عمران: 139]، أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه"[2].

---

(1) الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ – 2000م، ج7، ص234.

(2) العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، ص115.

- "وقد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازاً في مثل قوله تعالى: {وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} [آل عمران: 146] أي لم يضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بإظهار العنف عند المقاومة"[1].
- "ويجوز أن يقال إن الوهن هو انكسار الحد والخوف ونحوه، والضعف نقصان القوة"[2].
- الوهن يتصل بخمسة حقول دلالية هي: "الضعف، والفتور، والجبن، والخلل، والعجز"[3].

ثانيا: الاستكانة:

1- في اللغة:

استكانة اسم وهو مصدر استكان من (س ك ن)، "والسين والكاف والنون أصل واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة. يقال سكن الشيء يسكن سكونا فهو ساكن." [4]

يقال: يرفض الاستكانة: أي الخضوع والخنوع [5].

وهو بمعنى خضع وذل وضعف كما في قوله تعالى: {وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} [آل عمران: 146].

والسكون من سكن وهو ضد الحركة، بمعنى هدأه وأوقف حركته، لقوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ} [الشورى: 33].

---

(1) العسكري، المرجع السابق، ص115.

(2) العسكري، المرجع السابق، ص116.

(3) الغيلي، عبد المجيد محمد، **من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم (دراسة معجمية)**، طبعة إلكترونية، منشور على موقع المؤلف: رحى الحرف ص11، 12، 13.

(4) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج 3، ص 88.

(5) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيان، حامد عبد القادر، محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ج 1، ص 440.

وأسكنه بمعنى جعله يسكن أو يقيم فيه، لقوله تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ} [إبراهيم: 37]. "أي ما سكنتم هذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك"[1].

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

الاستكانة: هي إظهار الضعف والركون إليه والميل إلى الدعة والتخاذل. [2]

"وقيل: هي إظهار العجز والضعف، قال تعالى: {وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} [آل عمران: 146] أي لم يضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة"[3].

وجاء ذكر السكن ومشتقاته في القرآن الكريم قرابة التسعة عشر مرة، أطلقت على أربعة أشياء، هي الزوجة والليل، البيت ودعاء النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

3- الفرق بين الاستضعاف والاستكانة:

توجد فروق عديدة بين الاستضعاف والاستكانة منها:

قال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146].

" قال الفخر الرازي لا بد من الفرق بين هذه الأمور الثلاثة.

الوجه الأول: نقله عن صاحب الكشاف: وما وهنوا عند قتال النبي، وما ضعفوا عن الجهاد بعده، وما استكانوا للعدو.

---

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، سنة 1407هـ، ج2، ص558.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 4، ص 122.

(3) العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، ص 115.

الوجه الثاني قال: ويحتمل أيضاً أن يفسر باستيلاء الخوف عليهم، ويفسر بالضعف بأن يضعف إيمانهم وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم، والاستكانة هي الانتقال من دينهم إلى دين عدوهم.

وفيه وجه ثالث وهو: أن الوهن ضعف يلحق القلب، والضعف المطلق هو اختلال القوة والقدرة في الجسم، والاستكانة هي إظهار ذلك العجز وذلك الضعف، وكل هذه الوجوه حسنة ومحتملة"[1].

ومن اللطائف ترتيبها في الذكر على حسب ترتيبها في الحصول فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء وجاء الاستسلام فتبعته المذلة والخضوع للعدو، حيث بدأ بنفي الوهن حيث أن الوهن مادي بدليل قوله تعالى: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} [مريم: 4]، وهو ضعف حقيقي، يؤودي إلى انهيار ثم طلب اللجوء أو الجلوس والسكون، ويتسبب عنه ضعف في العمل الناتج عن وهن العزائم، ثم أتبعه نفي الاستكانة، فالاستكانة هي الرضا والخضوع للأعداء ليفعلوا بهم ما يريدون.

ثالثا: الذلة:

1- في اللغة:

ذل:" الذال واللام في التضعيف والمطابقة أصلٌ واحد يدل على الخضوع والاستكانة واللين، فالذل ضد العز، وهي مقابلة في التضاد صحيحة، تدل على الحكمة التي خصت بها العرب دون سائر الأمم، لأن العز من العزاز، وهي الأرض الصلبة الشديدة، والذل خلاف الصعوبة، والذل: نقيض العز، وأصل المادة يدل على الخضوع والاستكانة، واللين، يقال: ذل يذل ذلالة ومذلة" [2]، إذا ضعف وهان، فهو ذليل بين الذل والمذلة من قومٍ أذلاء وذلال، والذل: الخسة، وتذلل له: أي: خضع.

---

(1) الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، سنة 1420هـ، ج 9، ص381.

(2) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، ص 345.

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

الذلة: هي الهوان على الناس، والنظر إليهم بعين الاحتقار والاستخفاف، وقال ابن عاشور:" الذلة: خضوع في النفس، واستكانة من جراء العجز عن الدفع"[1]، وقال العسكري:" الذلة: الضعف عن المقاومة"[2].

وقد ذكرت كلمة ذل ومشتقاتها قرابة خمس وعشرين مرة في القرآن الكريم.

وذكرت الذلة مع المسكنة في القرآن الكريم في قوله تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} [آل عمران: 112]، وذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعليقاً على هذه الآية فقال:" ووجه ذكر المسكنة هنا لما فسر الصغّار بالذلة"[3]، فقد وضع على اليهود الصغّار والهوان شرعاً وقدراً فلا يزالون مستذلين، كما ذكر الطبري في تفسيره قال:" أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين"[4].

3- الفرق بين الضعف والذلة:

توجد فروق عديدة بين الاستضعاف والذلة منها:

- أن الذل يكون بسبب خارجي عن الإنسان بأن يقهره غيره، بينما الضعف يكون خلقة من الله، فنقول خلقه الله ضعيفاً، وقد يكون مقهوراً من غيره.
- أن الذل هو الانقياد كرهاً.
- أن الإذلال لا يكون إلا من الأعلى للأدنى.

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج4، ص119.

(2) العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، ص243.

(3) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، سنة 1379هـ، ج6، ص259.

(4) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج7، ص111.

رابعا: المسكنة:

1- في اللغة:

السين والكاف والنون تدل على "أصل واحد مطّرد يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء يسكن سكوناً فهو ساكن"[1].

وهناك معانٍ أخرى للسكن مثل:

السَّكَنُ: كُلُّ ما سكنتَ إليه من محبوبٍ.

وقيل: سكن في معنى سكت، وسكنت الريح وسكن المطر وسكن الغضب.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام: 13]، قال أبو حيان: "لما ذكر تعالى أنه له ملك ما حوى المكان من السماوات والأرض ذكر ما حواه الزمان من الليل والنهار، وإن كان كل واحد من الزمان والمكان يستلزم الآخر، لكن النص عليهما أبلغ في الملكية، وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان"[2]، وفي قوله تعالى: {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [إبراهيم: 45]، قالت فرقة:" هو السكون المقابل للحركة"[3].

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

وردت كلمة المسكنة في موضعين في القرآن [4]، وهي بمعنى الحاجة والخضوع [5]. قال تعالى: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ} [البقرة: 61]، وقال تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} [آل عمران: 112].

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج3، ص88.

(2) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، ج 4، ص 449.

(3) أبو حيان الأندلسي، المرجع السابق، ج4، ص449.

(4) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص434.

(5) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1422هـ، ج1، ص91.

ففي معجم اللغة العربية المعاصرة: آية البقرة بمعنيين: "ذلّ الشخص: ضعف وهان عن قهر وخضع وصغرت نفسه عكسه عز، وذلّ العابد لربه: خضع"[1].

والمسكنة في آية آل عمران(مفرد): فقر وحرص على طلب الدنيا [2].

أما عند الزمخشري ففي آية آل عمران: "وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها، وفي آية البقرة هم اليهود: إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله، أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء"[3].

3- الفرق بين الاستضعاف والمسكنة:

توجد فروق عديدة بين الاستضعاف والمسكنة منها:

- أن المسكنة أخصُّ من الاستضعاف فالمسكين يلجئهُ القهرُ إلى أن يَسْكُنَ.
- أن الضعيف يتحرك لكن بكامل طاقته وبجميع ما يملك.
- أن كل مستضعف مسكين وليس كل مسكين مستضعف، لأنه يرغمه ضعفه إلى أن يسكن، والمستضعف لا حول له ولا قوة [4].

خامسا: الإكراه:

1- في اللغة:

كَرِهَ: "الكاف والراء والهاء أصلٌ صحيح واحد، يدل على خلاف الرضا والمحبة، يقال: كرهت الشيء أكرهه كرهاً، والكُرهُ: الاسم، بل الكُرهُ: المشقة، والكَرهُ: أن تكلف الشيء فتعمله كارهاً"[1]، وهو الحمل على الشيء قهراً [2].

---

(1) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتاب، ط 1، 1429هـ/ 2008م، ج1، ص819.

(2) عمر، أحمد مختار، المرجع السابق، ج2، ص1088.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص402.

(4) بازمول، محمد بن عمر بن سالم، **أحكام الفقير والمسكين في القرآن العظيم والسنة**، كلية أصول الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ط 1، ص14.

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

الإكراه: هو عبارة عن حمل الإنسان على أمر لا يريد أن يفعله بتخويف [3].

وعرفه علاء الدين البخاري تعريفاً شاملاً، فقال: "حمل الغير على أمر يمتنع عنه، بتخويف يقدر الحامل على إيقاعه، ويصير الغير خائفاً فائت الرضا بالمباشرة"[4].

ومن تعريفات الإكراه تعريفُ الجُرجاني: "حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد والإلزام والإجبار على ما يكرهه الإنسان طبعاً أو شرعاً فيقدم على عدم الرضا ليرفع ما هو أضر"[5].

وقد ذكر الله عز وجل الكَره والكُره في القرآن في أكثر من موضع تصل إلى عشرين موضعا. [6]

ويلاحظ من التعريفين السابقين أنهما متقاربان في المعنى وإن إختلفت العبارات.

3- الفرق بين الاستضعاف والإكراه:

هناك فروق عديدة بين الاستضعاف والإكراه منها:

- أن الإكراه هو حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد والإلزام والإجبار، فيقدم بدون رضا، وأما الاستضعاف فهو نتيجة لضعف.
- أن الاستضعاف نتيجة الضعف أما الإكراه فقد يقع على القوي.

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص172.

(2) أبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، دار الفكر، دمشق - سورية، ط 2، 1408 هـ - 1988 م، ج1، ص317.

(3) أبو زهرة، محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ، ج 2، ص 944.

(4) البخاري، عبد العزيز بن أحمد، **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ، ج4، ص383.

(5) الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1403هـ – 1983م، ص 33.

(6) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص706-707.

- أن الاستضعاف يقع من الآخرين ولا يقع بفعل سماوي، أما الإكراه فقد يكون سببه سماوياً.
- أن الإكراه يقع غالباً على أمر محدد أما الاستضعاف فيقع على أمور عامة ومتعددة [1].

ومن خلال ما سبق يتضح لي جلياً أن الاستضعاف قد يكون أعم من الإكراه باعتبار أن المكره مضطر إلى فعل ما أكره عليه بدليل قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: 106]، فمن السياق القرآني يتجلّى لنا أنّ الآية تشير إلى ألا إكراه في الدين لأنه استعمل لفظ الإكراه بدل الاستضعاف فلم يقل إلا من استضعف، ففيه إشارة أنه لا إكراه في الدين بمفهومها الواسع المعروف عند أئمة التفسير وليس هذا محل تفصيله، كما أن الإكراه يشترك مع الاستضعاف بوجود الضرورة والغلبة والقهر.

قال البخاري رحمه الله:" والمكره لا يكون إلا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به"[2]، فيمكننا أن نقول: كل مكره مستضعف وليس كل مستضعف مكره.

(1) المشوخي، عابد، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص 56.

(2) الكرماني، محمد بن يوسف شمس الدين، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 2، 1401هـ / 1981م، ج24، ص 61 -62.

المطلب الثاني: الألفاظ المقابلة.

تعددت الكلمات التي تقابل الاستضعاف في مفهومها، وسأوضح في هذه الدراسة هذه الألفاظ في المعنى اللغوي والاصطلاحي وما وجه الفرق بينهما، ولعل هذه التعريفات تظهر لنا وجه الفرق بينها وبين الاستضعاف.

(الاستكبار، الظلم، العلو، الإفساد، التبع)

أولا: الاستكبار:

1- في اللغة:

تدور مادة (ك ب ر) حول أصل يدل على خلاف الصغر "وهو اشتقاق من كبر على وزن، استفعل"[1].

ولها معنيان:

أحدهما: حقيقيٌ وهي الزيادةُ في السن.

الثاني: مجازي وهو زيادة في كلفة الشيء.

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

ورد لفظ الاستكبار مع مشتقاته في القرآن الكريم في ستين موضعاً [2] وهو المتمثل في صيغة استكبر على وزن (استفعل) بمعنى تكبّر على وزن تفّعل: وهي للدلالة على الإسراف والمبالغة في التكبر [3].

فالكبر: هو الحالة التي يعجب فيها الإنسان بنفسه فيتكبر عن أداء الطاعات ولا يرتدع عن المعاصي. والكبر والتكبر والاستكبار كلها ألفاظ متقاربة.

وأعظم أنواع الكبر، التكبر على الله سبحانه وتعالى بعدم قبول الحق والإعراض عن العبادة.

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص153.

(2) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص693، 694.

(3) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج1، ص248.

" والاستكبار يقال على وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له وهذا هو المذموم وعلى هذا ما ورد في القرآن [1].

كقوله تعالى: {أَبَى وَاسْتَكْبَرَ} [البقرة: 34]، وقوله تعالى: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ} [البقرة: 87]، وقوله تعالى: {وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح: 7]، وقوله تعالى: {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ} [فاطر: 43].

3- الفرق بين الاستكبار والاستضعاف:

هناك فروق عديدة بين الاستكبار والاستضعاف كما أن بينهما تماثل منها وفرق بين شيئين قريبين:

- أن الاستكبار والاستضعاف مفهومان عقديان، لأن الصراع بينهم كانت طبيعته عقدية.
- أن معظم الآيات الحاملة للمصطلحين مكية حيث جاءت معظم الآيات في معرض قصصي.
- أن ورود مصطلح الاستكبار بصيغة الفعل أكثر من الصيغ الأخرى، وهذا يدل على أنه فعل ممارس، أما الاستضعاف فورد بصيغة المبني للمجهول ليدل على أنه فعل واقع على فئة من الناس [2].

---

(1) الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، **الموسوعة القرآنية**، ج8، ص475، مؤسسة سجل العرب، طبعة 1405هـ – 1984م، ج 8، ص 475.

(2) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص 314.

ثانيا: الظلم:

1- في اللغة:

"الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء في غير موضعه تعدّياً.

فالأول الظلمة، والجمع الظلمات، والأصل الآخر ظَلَمه يظلِمُه ظُلْماً"[1] والذي أناقشه في بحثي هذا في الأصل الثاني.

وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد، وهو وضع الشيء في غير موضعه.

والظلم هو اسم مصدر حقيقي [2]، يقال:(ظَلَمه ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلمةً) [3].

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

وردت مادة (ظ ل م) في القرآن الكريم مائتين وتسعين مرة [4] موزعة على العهدين المكي والمدني، ويعتبر الظلم من الألفاظ الواردة في معرض الذم في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: 129]. والمراد: "نولي بعضهم بعضا، أي: نجعلهم أولياء بعض بما يتبادلون من المنافع والمصالح، وبما يهيئه بعضهم لبعض من المكاسب الدنيوية ونحوها"[5]، وكما قال بعض المفسرين: "أي نجعل بعضهم أولياء بعض، بجامع كسبهم الشر والفساد"[6].

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج 3، ص468.

(2) الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، ج2، ص386.

(3) الفيومي، المرجع السابق، ص386.

(4) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، ص534-539.

(5) الغريب، **معالم السنن الربانية في أحداث الثورة المصرية المعاصرة**، ص 20.

(6) أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، ط 5، 1424هـ -2003م، ج 2، ص 119.

والظلم اصطلاحا هو: "وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بزيادة أو نقصان، وإما بعدول عن وقته أو مكانه"[1].

وقيل: هو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد [2]، فالظلم هو حالة يتعرض فيها الإنسان للغبن أو الأذى بالقول أو الفعل.

3- الفرق بين الظلم والاستضعاف:

هناك فروق عديدة بين الظلم والاستضعاف كما أن بينهما علاقة مشابهة ومنها:

- أن الظلم منه ما كان بغير حق بالكلية، كأخذ مال بغير استحقاق لشيء منه، وقتل نفس لا يحل قتلها، وأن الاستضعاف من جهة ممارسته على الضعفاء فهو مرادفٌ للظلم.
- أن الظلم والتسلط يكون إما بالمال أو الجاه وهو سبب من أسباب الاستضعاف من جهة المستكبرين.
- أن الاستضعاف هو فعل واقع على المستضعفين من جهة المستكبرين والمتسلطين، وكذلك الظلم فهو واقعٌ على المظلومين.
- أن الظلم أوسع من الاستضعاف من جهة الفاعل والواقع عليه فالاستضعاف لا يكون إلا من المستكبرين والطغاة بينما الظلم قد يصدر من الضعيف كما يصدر من القوي، وقد يقع الظلم على الضعيف وعلى القوي، فالظلم حقيقته وضع الشيء في غير محله لذلك الإنسان إذا أوقع العبادة لغير الله كان ظالما لقوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]. كما أن الإنسان قد يوقع الظلم على نفسه قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} [النساء: 97].

---

(1) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص537.

(2) الجرجاني، **التعريفات**، ص186.

ثالثا: العلو:

1- في اللغة:

(ع ل و) "العين واللام والحرف المعتل أصل واحد، ياء كان أو واواً أو ألفاً، يدل على السمّو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء ومن ذلك العلا والعلو [1].

وعلو الهمة هو السموّ، والمكانة، والعظمة والرفعة، قال الفَرّاء في قوله تعالى: {إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [المطففين: 18] قالوا "إنما هو ارتفاعٌ بعد ارتفاعٍ إلى ما لا حد له"[2].

والعلو بمعنى العلو والارتفاع، وهو أيضاً ضد السفل، والعلو الارتفاع، وعلا بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثر [3]، قال تعالى: {عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ} [الإنسان: 21].

والعلي: هو الرفيع القدر من علا [4].

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

العلي: "هو العالي شأنه في نفسه والأعلى عما عداه وهو الله سبحانه فالأول: بالنظر لذاته، والثاني: بالنظر لغيره، والعلي عند الكل من أسماء الصفات، إلا أنه عند المشبه يفيد الحصول في الخير، وعند أهل التوحيد يفيد التنزيه عن كل ما لا يليق بالإلهية"[5].

وجاء ذكر علا مع مشتقاتها في القرآن في قرابة أربعة وعشرين موضعاً، والعلو جاء على معنيين في القرآن الكريم [6]:

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج 4، ص 112.

(2) ابن فارس، المرجع السابق، ج 4، ص 115.

(3) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص582.

(4) الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص584.

(5) الكفوي، أبو أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 627.

(6) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص 592.

علو محمود: في قوله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1]، والعلو له دلالتان أحدهما مجازية وهي العظمة وعلو المنزلة، أما الدلالة الثانية فهي دلالة حقيقية وهي الارتفاع [1].

وعلو مذموم: في قوله تعالى: {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} [يونس: 83] وهو بمعنى التعظم والتجبر.

والعلو إذا وصف به الله سبحانه وتعالى فهو علوّ محمود وإذا وصف به البشر فهو علو مذموم وهو وصف أسند للشيطان في قوله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص: 75].

ومن ذلك علو فرعون، كما في قوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 4].

3- الفرق بين العلو والاستضعاف:

توجد فروق عديدة بين الاستضعاف والعلو منها:

- أن العلو من صفات أهل الكفر وهي صفة تدفع صاحبها إلى الغرور وارتكاب المحرمات، بالإضافة إلى أنه يدفعه إلى الإعراض عن الحق، وأما الاستضعاف فيكون من أهل العلو والتكبر في حق المستضعفين.
- أن العلو قسمان محمود ومذموم أما المحمود فيوصف به الله سبحانه وتعالى، وأما المذموم فيوصف به البشر وأسند للشيطان.

(1) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص56.

رابعا: الإفساد

1- في اللغة:

(ف س د) "الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً، وهو فاسد وفسيد"[1]، والفساد هو نقيض الصلاح، وتفاسد القوم بمعنى تدابروا وقطعوا الأرحام.

وقيل الفساد: "بمعنى الجدب، كما في قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الروم: 41]، قيل هو الجدب في البر، والقحط في البحر أي في المدن التي على الأنهار"[2].

وعند الطبري: "ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه"[3].

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

الفساد عند الجرجاني: هو "ما كان مشروعاً في نفسه فاسد المعنى من وجه الملازمة"[4].

و"معنى الفساد في القرآن الكريم هو خروج الشيء عن الاعتدال الذي خلقه الله له"[5].

والفساد هو الخروج عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج أو كثيراً، وهو ضد الصلاح، وقد ورد مصطلح الفساد والإفساد في القرآن الكريم خمسين مرة، حيث ورد بصيغة المضارع أربع عشر مرة بينما ورد أربع مرات بصيغة الماضي' وهذا يدل على تجدد الفساد وصدروه من البشر واستمراريته فيهم، بالإضافة إلى أن صفة الفساد هو من فعل البشر، حيث إنهم

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج4، ص503.

(2) الزجاج، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ – 1988م، ج4، ص188.

(3) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج20، ص107.

(4) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص164.

(5) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص 132.

يخرجون الشيء عن حالته الأصلية التي خلقه الله تعالى له [1] كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} [النمل: 34].

3- الفرق بين الاستضعاف والفساد:

توجد فروق عديدة بين الاستضعاف والفساد وهناك أوجه تشابه بينهما ومنها:

- أن المستَضعِفين والمفسِدين هم من الطغاة والمتجبرين والمنافقين وقد يكونون أفراداً أو جماعات.
- أن المفسدين قد يكونون ملوكاً لقوله تعالى: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: 34]، فيمارس هؤلاء صفة الإذلال والاستضعاف على الضعفاء.
- أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن الفساد في البر والبحر بما اقترفته أيدي الناس، فهذا فسادٌ عامٌ لكل أنواع الفساد في الأرض سواء كان استضعافاً أو استكباراً أو كل أنواع الطغيان والظلم، وعليه فإن مخالفة البشر لأوامر الله تعالى يؤول بهم للهلاك والدمار في الدارين.

خامسا: التبع:

1- في اللغة:

مصدر اتبع مأخوذ من مادة (ت ب ع) " التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التلو والقفو" [2].

والاتباع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثم استعمل في العمل بمثل عمل الغير.

كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} [التوبة: 100]، ثم استعمل في امتثال الأمر، والعمل بما يأمر به المتبوع. فالاتباع يطلق على من لحق غيره واقتفى أثره،

---

(1) أوعيشة، مصطفى، المرجع السابق، ص 133.

(2) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص362.

لذلك يطلق على من هم بعد الصحابة: "التابعون"؛ لأنهم اقتفوا أثر من قبلهم، وساروا على طريقهم.

2- في الاصطلاح والاستعمال القرآني:

فرق الإمام أحمد رحمه الله بين التقليد والاتباع، فقال أبو داود سمعته يقول: "هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم هو من بعد في التابعين مخير" [1].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: نقلا عن ابن خويز المالكي: الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو كل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله تعالى، فالرسول هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به [2].

وجاء ذكر اتبع مع مشتقاتها في القرآن الكريم قرابة الخمسين موضعاً، والاتباع على نوعين وهما: اتباع طريق الهدى كما في قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: 18].

أو اتباع الهوى والشيطان كما في قوله تعالى: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ} [غافر: 47]، فالتبعية في هذه الآية تبعية الذين استضعفوا للذين استكبروا في الكفر والضلال وتكذيب الرسل عليهم الصلاة والتسليم والإعراض عن دعوتهم.

3- الفرق بين الاستضعاف والاتباع:

توجد فروق عديدة بين الاستضعاف والاتباع ومنها:

- أن الاستضعاف يكون قهراً والاتباع يكون صاحبه مخيراً.

---

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني**، تحقيق/ طارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط 1، 1420هـ – 1999م، ص 368.

(2) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النميري، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق/ فواز زمرلي، مؤسسة الريان– دار ابن حزم، ط1، 1424هـ – 2003م، ج2، ص233.

- أن الاتباع يكون محموداً كاتباع طريق الهدى، ويكون مذموماً كاتباع أهل الكفر والضلال واتباع طريق الهوى والشيطان، أما الاستضعاف فكله مذموم.

المبحث الثالث:

عرض موجز لأهم صور الاستضعاف في المنظور القرآني

المطلب الأول: الاستهزاء والسخرية.

المطلب الثاني: النفي والتشريد والتهديد بالرجم والقتل وغيرها.

المطلب الثالث: الفتنة في الدين وممارسة أشكال التضييق.

المطلب الرابع: إخفاء الشعائر الدينية.

المطلب الخامس: قلة العدد والعدة.

المبحث الثالث:

عرض موجز لأهم صور الاستضعاف في المنظور القرآني.

المطلب الأول: الاستهزاء والسخرية.

هذه الحقيقة الاجتماعية والتاريخية المرة التي تبين أنه لم يبعث نبي على طول التاريخ إلا استهزئ به كقوله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [يس: 30]، والاستهزاء لا يكون إلا من قِبل جهلة الناس.

ففي قصة شيخ الأنبياء نوح عليه السلام يحتقر هؤلاء الجهلة أتباع نبي الله نوح عليه السلام ويصفونهم بالأراذل في قوله تعالى: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا} [هود: 27].

ففي الآية السابقة يحتقر المستكبرون المستضعفين بقولهم لا نرى لكم مزيد مال ولا نرى لكم مكانة اجتماعية ولا سلطة سياسية، فأنتم لا مثول لكم في الناس بقوله: {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} [هود: 27]، وبهذا الوصف دائماً يصف المستكبرون المستضعفين في كل زمان، كما ذكر الفخر الرازي:" أن غيرهم يستضعفهم ويستحقرهم، وهذا ليس فعلاً صادراً منهم بل من غيرهم، فهو لا يكون صفة ذم في حقهم، بل الذم عائد إلى الذين يستحقرونهم ويستضعفونهم"[1].

واستضعفه قومه بالسخرية منه وهو يبني السفينة في قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} [هود: 38]، وكما ذكر لنا أن: "قومه كانوا يحملون عقدا خبيثة ضده يحاولون تدمير شخصيته، لكن تاريخ حياته معهم يكشف لهم قوة فكره وسلامة نظره وفهمه الصحيح للأمور، فهو عليه السلام لم يواجههم إلا بنفس أسلوبهم عندما أخبرهم بأن سخريتهم ناشئة عن عقدة أو جهل بطبيعة الأمور"[2].

---

(1) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج14، 307.

(2) حسين، فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، موقع بينات، مقال. bayynat.org

ولنا أن نراجع حال الملأ في جميع الأقوام كقوم عاد وثمود ولوط ومدين، فسنجد الاستخفاف والاحتقار في تعاملهم جميعاً مع كل من نادى بالإيمان والإصلاح، وهذه سمة لكل طاغية قديماً وحديثاً فهي إذن حقيقة تاريخية قطعية يؤكدها القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام: 10].

فقوم عاد كانوا أصحاب قوة مادية وبدنية، وكانوا أصحاب أكبر قوة عسكرية بعد قوم نوح عليه السلام، واستخلفهم الله تعالى في الأرض بعد قوم نوح عليه السلام، لكن عندما دعاهم هود عليه السلام للحق كان ردهم الاستهزاء بنبي الله سبحانه وتعالى: {قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [هود: 53].

فهم يستضعفون نبي الله ويقولون له لا حول ولا قوة تمتنع بها منا إن أردنا أن نبطش بك، حيث لا وزن عندهم للحقيقة القوية التي يحملها ويواجههم بها، كما قال سيد قطب: "وهم يقيسون القيم بمقياس القوة المادية الظاهرة"[1] فهم قد بلغوا من فساد القلوب، ومن سوء تقدير القيم في الحياة ما كشف عن تبجحهم بالسخرية والتكذيب.

وقد حملهم غرورهم بقوتهم المادية والجسدية في البناء والمصانع إلى الاستهانة بنبيهم، حيث كان نبي الله سبحانه وتعالى من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً، وأكرمهم معشراً، وأرفعهم خلقاً وأدباً، ومع ذلك اتهموه بالسفاهة والضلالة، وهنا يتضح لنا منهج أصحاب الرفعة والسمو الذين يقابلون السوء بالصفح والعفو والمغفرة[2].

وكذلك الملأ من قوم صالح عليه السلام وهم قوم ثمود حيث كانوا خلفاً لقوم عاد، حيث ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أهلكت عاد عمرت ثمود بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا

---

(1) قطب، سيد، **معالم في الطريق**، دار الشروق، مصر، ط10، 1403هـ، ج12، ص1922.

(2) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ، ج12، ص136.

غير الله حتى بعث الله لهم صالحا عليه السلام، وكان أيضاً من أوسطهم وأفضلهم نسباً وحسباً[1].

وعندما دعاهم إلى عبادة الله وحده لم يتبعه إلا قليلٌ مستضعفون، وكان جواب الملأ من قوم صالح في قوله تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 75].

ففي قوله تعالى: "أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه" استهزاء بالمؤمنين وتهديد لهم، وموقفهم لا يقل في القبح والتطاول والعناد عن قوم نوح وهود عليهم السلام، فقد عتوا وطغوا وتجبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به.

كذلك الحال في الملأ من قوم شعيب عليه السلام حيث استهزؤوا بنبيهم وهددوه باستعمال القوة، عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان، لكنهم رفضوا دعوته وكان ردهم موضحاً في قوله تعالى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود: 91].

فقد رفضوا دعوته، وادعوا أنها غريبة عليهم، لكن نبي الله يستمر بشتى الطرق والأساليب، إلا أنهم لا يرتدعون ولا يسمعون ويستهزئون بنبي الله، وجاء ردهم بأربع جمل كلها تحكي عن جهلهم، فقالوا: "كلامك ليس فيه أول ولا آخر، وليس فيه منطق لنفكر فيه ونتدبره، وإذا كنت تتصور أنك تستطيع إثبات كلماتك غير المنطقية فأنت غارق في الوهم، ولا تظن أننا نتردد في القضاء عليك بأبشع صورة خوفاً منك ومن بأسك، ولكن احترامنا لعشيرتك يمنعنا، ومهما كانت منزلتك فلا منزلة لك عندنا لسلوكك المخالف المرفوض"[2].

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج8، ص277.

(2) الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، دار: الإمام علي بن أبي طالب، ط1، 1426هـ، ج6، ص135.

وكذلك فعل الطاغية فرعون في وصفه لقوم موسى عليه السلام: {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} [الشعراء: 54]، وكانوا يضحكون من موسى عليه السلام في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ} [الزخرف: 47].

وهذا حال جميع الأقوام مع جميع الأنبياء عليهم السلام كما أكدتها الحقيقة القرآنية التاريخية القطعية، أثبتها الله جل في علاه في قوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام: 10].

فمشركو قريش في دعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم لهم، أعرضوا عن سماع الحق وتمسكوا بمعتقداتهم الفاسدة، وتصوراتهم الضالة، ثم كذبوا بالآيات، وبعد ذلك استهزؤوا بفحواها، وعندما أصر النبي صلى الله عليه وسلم على التبليغ، أخذوا يطلبون مطالب تعجيزية ليس لهم بها من علم، ولكن عناد ومكابرة وإعراض عن الحق.

إذن فظاهرة الاستهزاء والسخرية بأنبياء الله ورسله عليهم السلام وأهل الحق والعقيدة ودعوتهم ظاهرة مطّردة في كل عصر، يرتكبها مجرموا كل قوم بعث فيهم رسول أو نبي، وقد ذكرت نماذج كثيرة أخرى حفل بها القرآن الكريم، ويجب على المؤمنين عدم التأثر بالمستهزئين أو إظهار الضعف لهم، ويجب مواجهتهم، متسلحين بالصبر والصدع بالحق أينما كانوا غير عابئين بهم كما قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:94-95].

المطلب الثاني: النفي والتشريد والتهديد بالرجم والقتل وغيرها.

الطرد والإبعاد هي سياسة ماضية مارسها أعداء الله ورسله في حق جميع الأنبياء عليهم السلام والصالحين، وهي أحد صنوف الإيذاء التي واجهها الأنبياء عليهم السلام والصالحون، وما زالت هي طريق المفسدين لإبعاد الصالحين في كل عصر [1].

فالمشركون في كل عصر يستضعفون الرسل ويهددونهم بالطرد والنفي إذا لم يعودوا إلى الكفر كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم: 13].

وهذا شعيب عليه السلام هددوه بالإخراج من بين قومه ومن وطنه في قوله تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف: 88]، فشعيب عليه السلام خيره قومه بين الطرد أو الرجوع للكفر.

ومن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من اضطر للهجرة عندما هدد بالطرد، ومنهم نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما هدده أبوه بالرجم وآذنه بالطرد في قوله تعالى: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم: 46]، وفعلا هاجر إبراهيم عليه السلام مع ابن أخيه لوط عليه السلام في قوله تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: 26].

وعندما استقر لوط عليه السلام وبدأ بدعوة قومه، كان ردهم على دعوته بقوله تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل: 56]، فلوط عليه السلام لم يأبه لقومه بل استمر في الدعوة فتآمروا على إخراجه لكن الوحي يأتي من الله سبحانه وتعالى للوط عليه السلام يأمره بالخروج من هذه القرية العاصية كما في قوله تعالى: {قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ

---

(1) منصور، أحمد صبحي، **فلسفة الهجرة في تاريخ الأنبياء**، مقال من موقع أهل القرآن، http://www.ahl-alquran.com، استرجع بتاريخ 25-6-2018م.

مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود: 81].

فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يصبرون على الأذى والطرد ويتوكلون على الله سبحانه وتعالى ويصبرون على الكفار في تهديدهم بالإخراج وفتنتهم في دينهم.

وكذلك نبي الله موسى عليه السلام يرجو النجاة من جبروت فرعون وطغيانه فيقول الله تعالى على لسان موسى لفرعون وملائه: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۞ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ} [الدخان: 21، 20]، فموسى عليه السلام يخاف من طغيان قومه أن يرجموه فيستعيذ بالله من الرجم ويرغب في اعتزال القوم إن لم يؤمنوا به.

وكذلك الحال في قصة الفتية المؤمنين من أهل الكهف الذين صمموا على الهجرة واعتزال القوم خوفاً من الرجم في قوله تعالى: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف: 20]، فهم بعد أن آووا إلى الكهف ورقدوا فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، ثم استيقظوا ولم ينسوا العذاب الذي ينتظرهم من شدة خوفهم من أذى قومهم واستضعافهم لهم.

ومن المعلوم أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي الرسالة الخاتمةُ الجامعة المهيمنة على ما قبلها من الشرائع السابقة، حيث تميزت دعوته بالشمولية، لأنه أرسل إلى الناس كافة إنسهم وجنهم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] ومن حكمة الله تعالى أنه لم يهلك جميع الكفار في عهده لأنه يرجو من الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، لذلك لم يعمهم الهلاك.

وقريش قد قابلت دعوة محمد عليه السلام مثل ما فعل أسلافهم الأوائل من الأذى والتآمر والتهديد بالطرد والقتل كما في قوله تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30] وما عانى منه نبينا محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم، فقد عانى منه الأنبياء السابقون كما في قوله تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} [محمد: 13].

فهذه سياسة ماضية يتبعها أعداء الله في حق الأنبياء وأتباعهم في كل عصر، وجاءت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في باب الصبر على الأذى، وكان النفي والطرد، تهجيراً، وظلماً وعدواناً.

المطلب الثالث: الفتنة في الدين وممارسة أشكال التضييق.

جرت سنة الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة أن يبتلى الإنسان، فقد يبتلى في دينه أو في ماله أو أهله، وهذه الابتلاءات ما هي إلا امتحان من العلي القدير، وذلك ليميز الله سبحانه أهل الحق من الباطل، فيمحص الله المؤمنين ويمحق الكافرين، قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 2، 3].

ومن هذه الابتلاءات أن يفتتن الإنسان في دينه، فيتعرض للأذى والاضطهاد من أهل الباطل ولا يجد من يسانده ويرفع عنه الأذى.

ومن أمثلة هذا الاستضعاف وافتتان المؤمنين في دينهم ما حدث في بني إسرائيل من تفنن فرعون وزبانيته في تعذيب المؤمنين، في قوله تعالى:{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 4] حيث كان في بني إسرائيل استضعاف من ناحية استعبادهم وجعلهم خدماً وعبيداً لأسيادهم، وكذلك الذبح للأبناء الذكور كان محل استضعاف، وهذا ما ذكره البغوي في تفسيره فقال: "يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وسمى هذا استضعافًا لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم"[(1)]، وقد مارس قوم فرعون ضروباً أخرى من فتن المؤمنين في دينهم وتعذيبهم، ومن ذلك حين بارز موسى السحرة وتبين لهم الحق فآمنوا، فكان جواب فرعون لهم في قوله تعالى:{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه: 71]، حيث تفنن فرعون وزبانيته في تعذيبهم بالصلب وتقطيع الأطراف فثبتوا على الإيمان حتى لقوا الله شهداء.

وقص الله سبحانه وتعالى علينا خبر المؤمنين الذين فتنوا في دينهم وأحرقوا أحياء، حيث كان الكفار يتلذذون بتعذيب المؤمنين المستضعفين الذين لم يكن لهم ذنب إلا أنهم

---

(1) البغوي، أبو محمد بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي**، تحقيق/ محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417 هـ – 1997 م، ج3، ص521.

آمنوا بالله وحده لا شريك له، وذلك في قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } [البروج: 4-7]، وهذه الحادثة تعتبر من أبشع صور الاستضعاف، حيث يقوم قوم بإضرام نار ضخمة في أخاديد عميقة، وإلقاء أهل التوحيد المستضعفين فيها أحياء، ثم يجلسون يشاهدونهم وهم يعذبون في هذه النار، هذا الذي فعلوه من كبائر الإثم وفظائع الإجرام[1].

وقد أخبرنا النبي عليه الصلاة والتسليم أن هؤلاء حفروا حفراً في السكك[2]، وأضرموا فيها النيران، وقذفوا المؤمنين فيها وهم أحياء.

وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن أنواع أخرى من التعذيب للمؤمنين السابقين فقد جاء عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[3] .

ولنا في رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أسوةٌ حسنةٌ، حيث ضرب وخنق حتى كاد أن يموت، ووضع سلى الجزور على ظهره، وقد روى مسلم عن ابن مسعود قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان، فيأخذه فيضعه بين

---

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق/ سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ – 1999م، ج8، ص 366.

(2) السكة: "الطريقة المصطفة من النخل، وسميت بذلك لتضايقها في استواء"، ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج3، ص 59. وانظر ابن أبي حاتم، محمد بن عبد الرحمن الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق/ أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط 3، 1419هـ، ج 12، ص 630.

(3) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري**، تحقيق/ محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422 هـ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم 3612، ج4، ص201.

كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم. فأخذه، فلما سجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا نائم أنظر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه.. حتى ذهب إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت، وهي جويرية فطرحت عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلاته، رفع رأسه، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثا وإذا سأل، سأل ثلاثا، ثم قال. اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبى جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، فو الذي بعث محمدا عليه الصلاة والتسليم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر"[1] ورجم النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى أدمي، وأخرج من مكة مراراً وتكراراً، ووضع له السم في طعامه، وشج رأسه، وكسرت رباعيته وأوذي في الله تعالى أذى شديداً [2]، وتآمر اليهود والمشركون والمنافقون على قتله، وحوصر في شعب أبي طالب ومن معه من المؤمنين، وحوصر هو وأصحابه في غزوة الخندق كذلك [3].

وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم أوذوا في الله تعالى، وعذبوا عذاباً شديداً، حيث عذب المشركون المستضعفين من المؤمنين بالتجويع والتعطيش، حتى كانوا يلبسونهم أدرع الحديد ويصهرونهم في الشمس، ومن ذلك بلال بن رباح كان يبطح في رمضاء مكة الحارقة، ويوضع الحجر على صدره، وخباب بن الأرت كان يعذب بأسياخ النار يكوّى بها رأسه وجسده، وكذلك والدا عمار (ياسر وسمية) فاضت أرواحهما تحت التعذيب [4].

---

(1) أخرجه مسلم، **في صحيحه**، كتاب المغازي، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلممن أذى المشركين والمنافقين، رقم: 4672، ج 5، ص 179.

(2) الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ج15، ص 1118.

(3) أبو زهرة، محمد بن أحمد، **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ – 2004م، ج 1، ص 367.

(4) الندوي، علي أبو الحسن، **السيرة النبوية**، ط 12، دار ابن كثير، دمشق، 1425هـ -2004م، ص188- 189.

وأيضاً قتل سبعون من الصحابة يوم أحد ومثل بأجسادهم، وغدر بسبعين آخرين في بئر معونة، ومثّل ملك الروم بعدد من أسرى الصحابة رضوان الله عليهم، حيث أمر بغلى ماء في قدر فقذف فيها بعضهم حتى الموت [1].

ولما ضعفت الأمة الإسلامية واجتاحها الصليبيون خاصة في بيت المقدس في أخريات القرن السابع الهجري، ساموا أهلها سوء العذاب من قتلٍ وتشريد وتنكيلٍ وتدمير، فقتلوا الآلآف من أهل بيت المقدس، وكان ذلك قبل أن يتصدى لهم صلاح الدين الأيوبي، الذي أعاد للأمة مجدها وشرفها وعزها وانتصر على الصلبيين الغاشمين.

وفي هذه الحقبة الزمنية اجتاح التتار بلاد العراق ونكّلوا بالمسلمين فيها، وأسقطوا حضارة بغداد سنة 656هـ بعد أن دامت ستة قرون.

وكذلك لما سقطت الأندلس في أيدي الصليبيين في أخريات القرن التاسع، أنشؤوا دواوين للتحقيق، وتفننوا في تعذيب المسلمين ومن ذلك محاكم التفتيش التي تفننت في أساليب تعذيب المؤمنين بما لا يخطر على بال أحد"[2].

كل ما سبق كان ليصد الكافرون المؤمنين عن دين الله، وكذلك فعل المستعمرون الأوربيون عندما استولوا على العالم الإسلامي، وقامت الثورة البلشفية في الاتحاد السوفيتي السابق بالاستيلاء على دول المسلمين وقتلت منهم الآلاف وشردتهم في الأرض.

وما زال المسلمون حتى يومنا هذا يعانون من قوة الكفر كما نسمع اليوم عن مسلمي ميانمار الذين يمارس في حقهم التطهير العرقي وأشد ألوان العذاب، وكما سمعنا عما حدث مع مسلمي البوسنة الذين أذاقهم الصرب أشد أنواع العذاب لأنهم يقولون ربنا الله، وهذا مصداق لقوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 217].

---

(1) الترباني، جهاد، **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1431هـ/2010م، ص 9.

(2) جلال العالم، عبد الودود الدمشقي، **قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، ط 2، 1395هـ - 1974م، ص 10.

إن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بمحن عديدة لحكم لا يعلمها إلا هو سبحانه، فتكون تمحيصاً وتطهيراً لهم ويكونون قدوة لمن بعدهم، وفي ذلك قال سيد قطب رحمه الله: "في هذا الحادث انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم، وانتصرت على جواذب الأرض والحياة، وانتصرت على الفتنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله في جميع الأعصار، وهذا هو الانتصار"[1].

(1) قطب، **معالم في الطريق**، ص 108.

المطلب الرابع: إخفاء الشعائر الدينية.

إن ممارسة الاستضعاف والظلم بشتى صورهما تولّدُ اليأس لدى المسلم بحيث لا يستطيع أن يعبد الله حق عبادته، وذلك بعدم قدرته على الالتزام بالشعائر والفرائض الدينية، ولنا في رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد أقام بالدعوة سراً بضع سنواتٍ، وخلالها تعرض بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وصحبه إلى الأذى والتضييق والتنكيل حيث حبسوا في الشعبِ، حتى فرّج الله عنهم فأمرهم بالهجرة بعدها إلى الحبشة، وأعلنوا دعوتهم.

ونظير هذا ما ذكر في القرآن في قصة أصحاب الكهف من قصة الفتية الذين آووا إلى الكهف لينجوا بدينهم من الملك الظالم، حيث مارست عليهم السلطة أشد أنواع التضييق والتعذيب كي يرضوا ويستسلموا فآووا إلى الكهف كي يختبؤوا من أعين السلطة، وفروا بدينهم إلى الله فحفظتهم إرادة الله سبحانه وتعالى من كل سوء [1].

وحدثت لأصحاب الكهف معجزة إلهية وهي إبقائهم في الكهف على قيد الحياة ثلاثمئة سنة وازدادوا تسعاً، وكانت القرية كلها على التوحيد لما بعثهم الله مجدداً لتقوية إيمان الموحدين بالله [2].

ففي هذه الآيات ذكر لنا القرآن مثلا آخر في رجل كان يكتم إيمانه وهو مؤمن آل فرعون، حيث ذكر في المشهور عنه أنه مؤمن قبطي من آل فرعون، عندما علم أن فرعون أراد أن يقتل موسى عليه السلام أظهر إيمانه وقال في قوله تعالى: { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر: 28].

---

(1) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج17، ص615، وانظر: عبد العزيز، شريف، **قصة أصحاب الكهف دستور النجاة من الفتن**، موقع ملتقى الخطباء، https://khutabaa.com

(2) عبد العزيز، شريف، **قصة أصحاب الكهف دستور النجاة من الفتن**. موقع ملتقى الخطباء، https://khutabaa.com

فقد جاء المؤمن بأسلوب المحاور الذي يقبح فعل قومه وشناعة ما عزموا عليه، كيف تستحلون قتله وهو يقول ربي الله، فقد جاءكم بالآيات الواضحات البينات، فانطلق ليعلي كلمة الحق، ويدافع عنها بكل ما أوتي من فصاحة وبلاغة، وفهمه العميق للقضية التي يدافع عنها حتى أنه استغل الفرصة لينشر فيها دينه، وهذا يدل على إيمانه بقضيته ودفاعه عنها، فأخبر قومه بخوفه عليهم يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً [1]، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ} [غافر: 30].

قال ابن عاشور:" هذا نوع من أنواع علم البيان يسميه العلماء استدراج المخاطب، وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، والقوم على تكذيبه أراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة، إنه يبدأ بتقطيع ما هم مقدمون عليه، ثم يخطو بهم خطوة أخرى، يفرض لهم أسوأ الفروض، ويقف موقف المنصف، وإن يك كاذباً فعليه كذبه، والاحتمال الآخر أن يكون صادقاً" [2].

وكذلك ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً في كتمان إسلام امرأة فرعون حيث بقيت على كتمان دينها أمام هذا الطاغية المتجبر "وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها وقد وصفها الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمانٍ كامل، وثبات تام ونجاة من الفتن" [3].

وكما ذكرت سابقاً فلنا في رسولنا الكريم أسوة حسنة عندما بدأ بدعوته، التي كانت سرية في مراحلها الأولى وكان لا يظهرها رسولنا الكريم إلا للخواص من الصحابة، ومما يدل أن الدعوة كانت سرية في بداية الأمر ما نقله ابن إسحاق بأن "أصحاب رسول الله إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر

---

(1) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج21، ص376-383.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج24، ص128.

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق/ عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ – 2000م، ص 874.

من أصحاب رسول الله في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون" [1].

وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه لا يظهر أسماء من أسلموا في بداية الدعوة حرصاً على سلامتهم من الأذى، وعندما أظهروا إسلامهم تعرضوا للاستضعاف والأذى والاضطهاد والتنكيل، ومما يؤيد ذلك ما جاء في رواية ابن مسعود، بقوله: "أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد" [2].

ومنع رسولنا الكريم من إظهار دينه وممارسة دعوته حيث كان ذلك أسلوباً اتبعته قريش في منع الرسول صلى الله عليه وسلم من ممارسة الدعوة واستضعافه والتضييق عليه ومنعه [3] كما في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى} [العلق: 9 - 11].

وفيما ذكرت من أمثلة نجد أن هؤلاء جميعاً استضعفوا وآثروا كتمان دينهم ومارسوا شعائر الله في الخفاء، ولكن المصير المحتوم هو التعذيب والتنكيل والاضطهاد الذي يكون في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(1) ابن إسحاق، محمد بن يسار، **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، تحقيق سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ/ 1978م، ص 147.

(2) أخرجه ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ – 2009م، المقدمة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – فضل سلمان وأبي ذر والمقداد، رقم (150)، وقال المحقق إسناده حسن؛ وانظر: العلي، إبراهيم بن محمد الجنيني، **صحيح السيرة النبوية**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1415هـ-1995م، ص 70.

(3) ابن هشام، عبد الملك المعافري، **السيرة النبوية**، تحقيق/مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1375هـ – 1955م، ج1، ص317.

المطلب الخامس: قلة العدد والعدة.

نلاحظ دائماً أن أتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم عبر العصور، تميزوا بقلة العدد والعدة، ففي قوله تعالى: {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود: 40]، دلالة على أن من اتبع هوداً كانوا قلة وذلك لحكمة أرادها الله تعالى في الإبتلاء فهو الحكيم الخبير، وحكمته تقتضي منا الاعتبار والاتعاظ، ومن حكم ذلك الابتلاء للمؤمنين والدلالة على صلابة الإيمان وقوته.

وقد جرت سنة الله في المستضعفين أنه ينصرهم ويمكن لهم في الأرض بعد صبرهم، قال تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا} [الأعراف: 137]، أما أصحاب الترف والمال والمتاع فلا يريدون أن يستبدلوا ما عندهم بما عند الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء يستغنون بأموالهم أو مناصبهم الاجتماعية أو رجالهم ويرون أن ما عندهم باقٍ.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج من الأنبياء عليهم السلام ممن عانى من ضعف العدد والعدة ومن هؤلاء أبو الأنبياء نوح عليه السلام، فأنكر قومه دعوته وتمردوا عليه وامتنعوا عن سماع كلامه ورؤيته فكانوا يحاولون إغلاق آذانهم قال تعالى: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}[نوح: 7]، حيث إنه عليه الصلاة والتسليم لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وقد اشتملت على بناء السفينة وقد عانى في بناءها عناءً شديد لقلة موارد البناء، حيث بناها في الصحراء وهي خالية من الزرع كما هو معروف، وعانى من قلة عدد المؤمنين الذين اتبعوه وجملتهم ثمانون شخصاً.

فبالرغم مما كان يتصف به نوح عليه السلام من ضعف القوة وقلة العدد، إلا أنه كان يتوكل على الله أمام هؤلاء الطغاة، ويتحداهم ويبعث الله في قلبه الطمأنينة والثقة قال تعالى: {فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس: 71]. فتحداهم نوح عليه السلام وأخبرهم أن اقضوا ما أنتم قاضون وافعلوا ما بدا لكم ولا تتأخروا.

فنلاحظ أن هذا هو حال الأنبياء عليهم السلام وجميع ورثتهم، ممن يعاني منهم من ضعف مادي ودنيوي، لكن جرت سنة الله أن يعقبهم العزة والمنعة.

ومن المستضعفين كذلك بنو إسرائيل حيث استضعفهم الطاغية فرعون، فجعلهم عبيداً يسخرهم لخدمته، وكان يقتّل الأبناء الذكور خوفاً من المستقبل كما في قوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 4].

والمسلمون في بداية الدعوة كانوا قليلي العدد، حيث استضعفتهم قريش لقلة عددهم، فضيقت على البعض واستضعفت من استطاعت استضعافه ممن أسلموا، وذكرهم الله سبحانه وتعالى بذلك بعد أن منّ عليهم بالكثرة في قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: 26].

كما نجد أن قريشاً في فترات ضعف المسلمين وقلة عددهم تجرؤوا عليهم بالإيذاء والتنكيل، يريدون صد الناس عن عبادة الله، ويذكر ابن هشام في سيرته بعض الأخبار عن طرق التعذيب التي اتبعتها قريش ضد المسلمين المستضعفين في مكة فقال: " فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب، فيعصمه الله منهم" [1].

ورسولنا صلى الله عليه وسلم لما رأى ما يحدث لأصحابه وأنه لا يمكنه حمايتهم أمرهم بالهجرة للحبشة، فقال لهم:" إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا" [2].

---

(1) ابن هشام، **سيرة ابن هشام**، ج1، ص317.

(2) أخرجه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **في السنن الكبرى**، تحقيق/محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 1424هـ-2003م، كتاب السير، باب الإذن بالهجرة، ج 9، ص 16، رقم 17734. وقال فيه الشيخ الألباني في الصحيحة: إسناده جيد.

فكانت هذه هي الهجرة الأولى للمسلمين وكان عثمان بن عفان أول من هاجر هو وزوجه رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك قال: خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أرض الحبشة فأبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما، فقدمت امرأة من قريش، فقالت: يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته، قال: "على أي حال رأيتهما؟" قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة [1]، وهو يسوقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صحبهما الله، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عيه السلام"[2]. قال ابن إسحاق: وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان" [3].

فقلة العدد والعدة هي من مظاهر الاستضعاف وصوره التي ذكرت في القرآن، وحينها يكون المؤمنون أكثر عرضة للافتنان في دينهم وتعذيبهم والتنكيل بهم وهذا ما تعرض له الصحابة رضوان الله عليهم في بدء الدعوة وكذلك تعرض له جميع من اتبعوا الأنبياء عليهم السلام قبلهم.

---

(1) قال ابن منظور: "الدبابة: أي الضعاف التي تدب في المشي ولا تسرع" **لسان العرب** ج 1، ص 370.

(2) أخرجه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1، 1405هـ، جماع أبواب المبعث، باب الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية وما ظهر فيها من الآيات، ج2، ص297؛ والهيثمي، أبو الحسن نور الدين، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ- 1994م، كتاب المناقب، باب ما جاء في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ج 9، ص 80- 81.

(3) ابن إسحاق، **كتاب السير والمغازي (سيرة ابن إسحاق)**، ص 223؛ والغضبان، منير محمد، **فقه السيرة النبوية**، جامعة أم القرى، ط 2، 1413هـ، 1992م، ص 224.

الفصل الثاني:
أسباب الاستضعاف.

ويتناول المباحث الآتية:

المبحث الأول: ضعف العقيدة والابتعاد عن اتباع شرع الله.
المبحث الثاني: الاستبداد بشتى صوره.
المبحث الثالث: التفرق واختلاف الكلمة.
المبحث الرابع: الركون للظالمين.
المبحث الخامس: الاستكانة بدعوى الخوف من المصلحة.
المبحث السادس: تجاهل السنن الكونية.
المبحث السابع: التقليد الأعمى.

الفصل الثاني:

أسباب الاستضعاف:

المبحث الأول:

ضعف العقيدة والابتعاد عن اتباع شرع الله.

المطلب الأول: عدم التركيز على العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: الخطط الغربية لتدمير العقيدة الصحيحة.

المبحث الأول:

ضعف العقيدة والابتعاد عن اتباع شرع الله.

المطلب الأول: عدم التركيز على العقيدة الصحيحة.

إن العلم نورٌ وهدى، والجهل ظلمةٌ وضلالة، وقد أمرنا الله تعالى بالعلم بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو فقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: 19].

والجهل بالدين الإسلامي بشكل عام هو أمر واقع في عصرنا الحالي، والجهل بالعقيدة الصحيحة على الخصوص، ولا يمكن دعوة الناس للالتفاف تحت راية الإسلام العام إلا بالعقيدة الصحيحة، ولكننا نلاحظ أن هناك من يقلل من شأن العقيدة والتوحيد، ولن يجتمع الناس إلا إذا اجتمعوا على كلمة التوحيد قولاً واعتقاداً وعملاً.

فحياة المسلم لا يمكن أن تستقيم إلا باتباع شرع الله سبحانه وتعالى، فيجب على المسلم الانقياد لله بالطاعة والاستسلام له، فإذا خرج الإنسان عن خط الطاعة والعبادة لغير الله فإن ذلك يحقق له الذل والاستضعاف والعبودية لغير الله تعالى [1].

والقرآن الكريم يبين لنا سبب ضَعفِ الأمَمِ وذلها وجهلها وجعلها منقادة لغيرها، ألا وهو الخروج والابتعاد عن دين الله، حيث يوضح لنا القرآن السبب في استخفاف فرعون لقومه واستضعافه لهم بقوله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف: 54]، ففسقهم كان سبب ذلهم، هكذا كانت عاقبة قوم فرعون عندما اتبعوه وأطاعوه، فلو اتبعوا دين الله تعالى لكان تحققت لهم العزة والسيادة والكرامة [2].

ولا يمكن أن ندعو إلى الاجتماع والتآخي والتعاون وكلاً منا يعتقد عقيدة مختلفة، كما كان لدى مشركي قريش فكل منهم كان يعتقد بتوحيد الربوبية لكن بدون إخلاص فكانوا يشركون مع الله إلهاً آخر مثل الكواكب والشمس وعبادة الأصنام وغيرها، لذلك كانوا

---

(1) رباع، كامل، **فقه الاستضعاف في ضوء السيرة النبوية في العهد المكي**، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ط 1، 1438هـ – 2017م، ص44.

(2) رباع، كامل، المرجع السابق، ص45.

متفرقين متناحرين لا يمكن جمع كلمتهم [1]، وكما قال سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى: {أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: 39].

وإن الله سبحانه وتعالى جعلنا مجتمعين متحدين ومتآلفين على كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" فلماذا نختار التفرق والشتات، كما كانت قريش متفرقة كل منهم متعصب لملته وآلهته، وعندما اجتمعوا بعد دعوة محمد عليه الصلاة والسلام صار سلمان الفارسي وبلال بن رباح الحبشي إخوة مع غيرهم من أشراف العرب الذين أسلموا، واجتمعوا تحت مظلة الإسلام والعقيدة الواحدة [2].

وكذلك كان السبب في تيه بني إسرائيل في صحراء سيناء فبعدما أمروا بدخول الأرض المقدسة ورفضوا أمر الله كان عقابهم حرمانهم من دخول الأرض المقدسة أربعين سنة، كما ذكر الله في قوله: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: 26]، فاستحقت بنو إسرائيل الذلة والهوان والاستضعاف بسبب ابتعادهم عن شرع الله تعالى.

ومن الجهل بالدين الإسلامي عدم التبصر به، وكيف ندعو إلى الله سبحانه وتعالى وندعو إلى تعاليم دينه بدون علم وبصيرة قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108]، فمن يدعو إلى الله على جهل فهو ليس على بصيرة وإن كان عالماً، ومن الواجب أن نهتم بالإسلام بشكل عام والعقيدة بشكل خاص حتى نصبح على بصيرة بجميع أمور الدين [3].

وكذلك إذا أردنا أن نقضي على أسباب الاستضعاف فعلينا أن نرسخ العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين ولا يتم ذلك إلا بالعلم النافع الذي هو سلاح المؤمن، وقد حكى لنا القرآن أن قوم نوح عليه السلام لضعف تفكيرهم حرموا من الإيمان بسبب أن أتباعه من الأراذل بزعمهم، فقال تعالى: {قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ} [الشعراء: 111]، وقد أخطؤوا في تأويلهم هذا وحادوا عن الصواب.

---

(1) الفوزان، **مظاهر ضعف العقيدة في هذا العصر وطرق علاجها**، ص14-15.

(2) الفوزان، المرجع السابق، ص16-18.

(3) الفوزان، المرجع السابق، ص18-19.

فالحقيقة القرآنية والوقائع التاريخية تبين أن الابتعاد عن شرع الله والابتعاد عن العقيدة الصحيحة هما سبب للذل والهوان والاستضعاف من الأعداء.

إن بعد المسلمين عن تعاليم دينهم وعدم تمسكهم بمنهجي القرآن الكريم والسنة النبوية يشعر بضعف العقيدة لديهم، وهذا الذي دأبت عليه الأمم السابقة ومن ذلك حكاية في بني إسرائيل عن هارون لأخيه موسى عليهما السلام في قوله تعالى: {قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 150]، وقال الزحيلي في ذلك: "فلولا المربي ما عرفت ربي، ولكن الإرادة الإلهية فوق كل شيء، والله غالب على أمره ولله في خلقه شؤون وله الحكمة العليا، وقد تجنح نفس الإنسان إلى السوء والفساد والانحراف، بالرغم من حسن التربية ورقابة المربي، كما نشاهد في بعض أولاد العلماء والصلحاء والأشراف"[1].

ففي العهد المكي أقدم المشركون على كف الدعوة وشلّ حركتها، وإسكات أصحابها بشتى ما يملكون من وسائل، كالسخرية والاستهزاء وإثارة الشبهات، حينها قرروا أن لا يألوا جهداً لمحاربة الإسلام وإيذاء رسوله وتعذيب أتباعه والتعريض والتنكيل بهم، واستضعافهم لأنهم كانوا قلة في العدد كما أشير إلى ذلك في صور الاستضعاف.

وعليه فإن أعداء الإسلام لن يتوقفوا من النيل من الإسلام وأهله، وما زالوا إلى يومنا هذا يثيرون الشبهات والنعرات ضد عقيدتنا لصدنا عن الدين والمنهج القويم السليم الذي تركنا عليه رسولنا عليه الصلاة والتسليم.

وهذا يوازي قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: 59]. "أي قل لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب هل لكم علينا مطعن وعيب إلا هذا؟ هذا ليس بعيب ولا مذمة فيكون الاستثناء منقطعا" [2].

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج9، ص99.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 3، ص 142.

وعليه يبقى الاستضعاف سيد الموقف حيث تراهن الأمم السابقة واللاحقة إن لم تكن العقيدة الصحيحة ديدنها، فيلزمنا تنشئة الأجيال وتصحيح الأفكار وطرح المفاهيم الصحيحة، والمناهج العلمية بناءً على تخطيطٍ مدروس في مجتمعاتنا الإسلامية، حتى لا يبقى مجالٌ لخرق المعتقدات الدينية من طرف دعاة الباطل ومن على شاكلتهم، وبذلك نؤمن مستقبل أجيالنا بغرس القيم الدينية الصحيحة في نفوسهم [1].

(1) الفوزان، صالح بن فوزان، **مظاهر ضعف العقيدة في هذا العصر وطرق علاجها**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية-الرياض، ط 1، 1429هـ-2008م، ص20-21.

المطلب الثاني: الخطط الغربية لتدمير العقيدة الصحيحة.

دأب الغرب في البلاد الإسلامية التي احتلوها على أمور كثيرة حيث إنهم قاموا بفصل الدين عن الدولة، وألغوا الحكم الإسلامي وأخضعوها للقوانين الوضعية سواء كانت في القضاء أو غيره.

وكذلك حاولوا القضاء على اللغة العربية بنشر لغتهم مع التعاليم العلمانية، وإفساد أخلاق الشعوب المسلمة وخصوصاً في فئة الشباب، ونشر الإباحية بين ظهرانيهم، وقد استغلوا خيرات الشعوب الإسلامية وتم ربطها بالاقتصاد الغربي، كما عملوا على السيطرة على وسائل الإعلام لتوجيه الرأي العام وشلّ حركة الجهاد الإسلامي والعمل على تربية وإعداد أجيال موالية لهم، وهذا مصداق الحديث الشريف: "سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"[(1)]، فمحل الشاهد فيه وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها، وهذا اليوم حاصل من أبناء جلدتنا، حيث فتحوا مراكز ثقافية ومدارس ومؤسسات للتعريف بالغرب وحضارته، وهذا كله من مظاهر الاستضعاف الذي أصيبت به أمتنا الإسلامية.

حيث إن الشعوب الإسلامية أصبحت تحذو حذو الغرب إلا من رحم ربك في العادات والثقافات والسياسة والاقتصاد وما إلى ذلك[(2)].

وقد أخبرنا الباري سبحانه وتعالى فقال: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 109]، فالكفار يودون صد المسلمين عن دين الحق حسداً واستكباراً من أنفسهم الخبيثة، ويعملون لذلك سراً وعلناً، قديماً وحديثاً من بعد ما انكشف لهم الحق، حيث جحدوا بالإسلام، ولكن أنى لهم ذلك، لأن الله ناصرٌ دينه.

---

(1) أخرجه مسلم، في **صحيحه**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الامة بعضها ببعض، ج 8، ص 171، رقم (7363).

(2) المشوخي، زياد عابد، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص124.

فهؤلاء يدركون أن السر في قوة المسلمين يكمن في تمسكهم بدينهم، لذلك عملوا جاهدين على إضعاف الدين والتشكيك فيه وهدم عقيدته الصحيحة، والدليل على ذلك قول لورانس براون: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"[1].

وكذلك المقولة المشهورة لغلادستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق"[2].

ومن الطرق التي اتبعوها أنهم عملوا على نشر الشبهات ضد الدين والعقيدة والقرآن والسنة وذلك من أجل تشويه الإسلام ومبادئه في عقول المسلمين، ونشر عقائد باطلة ونظريات إلحادية، ومن تلك الطرق عرض عقائد باطلة لفرق منحرفة عن الإسلام فيستشهدون بها ويزعمون أنها تنتمي لعقيدة الإسلام[3].

هذه الطريقة في قلب الحقائق وتشويه سمعة أهل الإسلام اتبعتها قريش مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن ذلك أنه كان إذا جاء الناس في موسم الحج للتجمعات والأسواق يقولون عن النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من الباطل ما شاؤوا، ونجد أن الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه سد أذنيه من هول ما سمع منهم، كل ذلك من أجل التشويه وقلب الحقائق وعدم إيصال كلماته الكريمة للناس ومحاولة لإضعاف الرسالة الشريفه وإضعاف أهلها.

فالأصل في هذه العداوة هي كما قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 120]، لأن هؤلاء منحرفون عما أنزله الله إليهم وهي حقيقة قرآنية حيث إنهم يريدون أن يكون المسلمون مثلهم في الانحراف، وإذا لم

---

(1) خالدي مصطفى، وفروخ، عمر، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي)**، المكتبة العلمية ومطبعتها، شارع المعرض، بيروت، ط 1، 1372هـ، 1953م، ص 187.

(2) أسد، محمد، **الإسلام على مفترق الطرق**، تحقيق/ عمر فروخ، دار العلم للملايين، 1987م، ص39.

(3) موقع: answeringislam.com، استرجع بتاريخ 2018/8/10م.

يصبحوا مثلهم يستضعفونهم ويعادونهم ويثيرون الشكوك والشبهات ضد هذا الدين والعقيدة الصحيحة.

وما أثاره الغربيون من شبهات حول الإسلام وأهله قد وجد طريقه للأسف للشعوب الضعيفة فانحرفت عن الصراط المستقيم، وهذا أدى إلى هوانها وذلها واستضعافها.

فمثل هؤلاء في جميع العصور يعادون الحق ويتبعون جميع الأساليب للإعراض عن الحق وإثارة الشكوك والشبهات حوله.

ونعرض هنا على سبيل المثال ما فعلته قريش مع الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، مع أن هذا الصراع قائم ومستمر.

من الوسائل التي اتبعتها قريش في الصد عن سبيل الله:

1-إطلاق التهم على الصالحين المخلصين.

فأخذوا يطلقون التهم الباطلة على شخص الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، واتفقوا أن يقولوا عنه ساحر، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص: 4]، واتهموا نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأنه يتلقى القرآن من نجار رومي بمكة فجاء الرد عليهم من الله عز وجل بقوله: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: 103]، فتولى القرآن الرد على تهمهم الباطلة وسخريتهم وضحكهم [1].

2-التشويه الإعلامي الكاذب:

تقوم المؤسسات الإعلامية الغربية اليوم بتوفير الدعم المالي والمعنوي الكافيين، لتوفير وتسخير وتجنيد قنوات إعلامية عبر شبكات التواصل والذباب الإلكتروني، وصحف ومجلات ووسائل إعلام عديدة، والهدف منها تشويه صورة الإسلام وقلب الحقائق أمام الرأي العام، وإبعاد المسلمين عن دينهم وهدم المجتمع الاسلامي بكل أطيافه وتوجهاته لأنه من المعلوم أن

(1) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1، ص393.

الإعلام سلاح صامت وهو السلطة الرابعة ويحمل في طياته الكثير، لأنه ليس هناك بيت إلا ويصله.

وهذا ما قام به العرب في صدر الإسلام أيام البعثة في الجاهلية في سوق ذي المجاز، فكان إذا أقبل العرب في السوق والتجمعات قاموا بتشويه سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهل الحق[1]، كما روى ذلك الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد من بني الديل-وكان جاهلياً- فأسلم، قال:" رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول:" يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، والناس مجتمعون حوله، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب"[2]،وهذا كله لتشويه الحقائق عند المستضعف فيرى الباطل حقاً والحق باطلا.

3-المساومة على الدين:

كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لا يقبل المساومة على الدين، ولا يتنازل عن الحق أبداً، فقد مارست قريش هذه الطريقة من خلال الضغط عليه من خلال أحد أقاربه، روى البخاري في تاريخه، والبيهقي من حديث عقيل بن أبي طالب قال: "جاءت قريش إلى أبي طالب، عم الرسول عليه السلام، فقالوا إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا؛ فانهه عنا، فقال: يا عقيل أئتني بمحمد، فانطلق إليه، فاستخرجه من كنس_يعني بيت صغير_ فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم "أي النبي عليه السلام إلى عمه أبي طالب، وفي المجلس رؤساء قريش"، قال أبو طالب: "إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن آذاهم،" فحلق رسول الله عليه السلام بصره إلى السماء، فقال: ترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: "فما أنا بأقدر على أن أرد ذلك منكم على أن

---

(1) الفالوذة، أبو إبراهيم، **الموسوعة في صحيح السيرة النبوية**، مطابع الصفا، مكة، ط1، 1423هـ، ج1، ص389.

(2) أخرجه أحمد، **مسند أحمد**، مسند المكيين – حديث ربيعة بن عباد الديلي، ج 1، ص 2473، رقم (2417).

تشعلوا منها شعلة"[1]، فالرسول صلى الله عليه وسلم رفض السكوت عن الحق رفضاً كلياً، وضرب لهم مثلاً، بالشعلة وهي قطعة من الشمس.

4-التهديد والوعيد:

كان عليه الصلاة والتسليم يصلي في الكعبة، ليراه الناس بعيدهم وقريبهم فيكون ذلك إعلانا عن التوحيد، غير أن أبا جهل كان لا يقبل ذلك ويهدد ويتوعد ويقول: "ألم أنهك أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني، فانتهره الرسول عليه السلام، فقال جبريل عليه السلام: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} [العلق: 17، 18] والله لو دعا ناديه لأخذه زبانية العذاب [2].

فهددوه بالقتل، وضربوه وشتموه، وأغروا به سفهائهم، ووضعوا الشوك في طريقه، واتهموه بالخيانة وهو الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، وخنقوه بالثوب، وكل ذلك من إجل إضعافه وإضعاف دينه [3].

5-التشويش على الدعوة:

إن أعداء الإسلام كرّسوا جهدهم ووقتهم لمحاربة الدعوة بشتى أنواعها حيث طعنوا في القرآن وطعنوا فيمن آمن مع محمد، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: 26]، فبدؤوا يشوشون على القرآن ولا يريدون من أحد أن يسمعه، وكانوا يرفعون أصواتهم بالصياح [4]، "قالوا: لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه.

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدآباد – الدكن، دون تاريخ، دون طبعة، ج 7، ص 51؛ وابن إسحاق، **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، ص155. وحسن الألباني سنده في السلسة الصحيحة.

(2) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ – 1990م، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الجمعة، ج2، ص،530، رقم 3809، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(3) ابن هشام، **سيرة ابن هشام**، ج1، ص354.

(4) الشعراوي، **تفسير الشعراوي الخواطر**، ج5، ص 2855.

والغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْما تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه."(1)

6-الإغراءات:

استعملت قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم كل أنواع الإغراءات، بالمال والمنصب، وغير ذلك، فلم يتنازل النبي صلى الله عليه وسلم وظل متمسكاً بدينه كما في قوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: 1 - 6].

فأمام كل هذه الوسائل التي اتبعتها قريش في إثارة الشكوك والشبهات ضد هذا الدين وأهل الحق، صمد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يضعف ولم يستسلم.

وكل هذه الأساليب مازالت مستمرة إلى يومنا هذا، ويعضد هذا قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: 59]. قال الشهيد سيد قطب رحمه الله في هذا: "فالفسق يحمل صاحبه على النقمة من المستقيم وهي قاعدة نفسية واقعية تثبتها هذه اللفتة القرآنية العجيبة: إن الذي يفسق عن الطريق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم، إن وجوده يشعره دائماً بفسقه وانحرافه إنه يتمثل له شاهداً قائماً على فسقه هو وانحرافه، ومن ثم يكرهه وينقم عليه، ويسعى دائماً لجره إلى طريقه، أو القضاء عليه إذا استعصى قياده، إنها قاعدة مطردة، تتجاوز موقف أهل الكتاب من الجماعة المسلمة إلى موقف كل فاسق منحرف من كل عصبة مستقيمة"(2).

إنها معركة طويلة مع الباطل، حيث لا يزال الغرب الغاشم يعمل جاداً لاستضعاف الأمة الإسلامية، وتفكيك بيضتها باستغلال ثرواتها، وتفريق صفها وكلمتها وللأسف فإن أتباع الغرب من بني جلدتنا هم من ساعد المستعمر على وقوع الهزائم الداخلية بأنواعها

(1) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج21، ص460.

(2) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط 17، 1422هـ، ج2، ص926.

(المعنوية والاقتصادية والسياسية والعسكرية) مما أضعف الأمة وأنهك قواها وعزائمها الدينية والسياسية [1].

وإنَّ للعقيدةِ الإسلاميةِ أهميةً كبيرة في نفوس البشرية جمعاء، بحيث تؤدي إلى توجيه السلوك والقيم والمبادئ بالإضافة إلى تحقيق العبودية لله تعالى وحده من خلال توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومما يدل على ترسيخ العقيدة السليمة ارتباطها بالعمل الصالح وهذا ما دلت عليه العقيدة المستمدة من الوحيين ولذلك وعد الله من ءامن بالوحيين وعملا صالحا بصلاح الدارين، فاستشعارُ العقيدة الصالحة يُضْفي على المؤمن بالعزة والكرامة بحيث يصبح غير مكترث بما يصيبه من معضلات ومآسي. وختاما فإنَّ العقيدة الصحيحة تقي من التيارات العقدية المنحرفة كتيار القومية وتيار العلمانية وتيار الإلحاد وغلاة الصوفية وأهل البدع والاستبداد بشتى صوره وألوانه.

لذلك يُعْتَبرُ ضعفُ العقيدة أحدُ أكبرِ الاخِتلالات التي تتسببُ في إعاقةِ الفرد والمجتمع لِما للعقيدة منْ مِحْوَرِيةٍ في فاعليَةِ وكفاءةِ الجميع، فإذا لم تَقُم على أُسُسِها المتينةِ وتُرَسِّخَ في الأنفُس بالدرجة اللازمة فإنَّ ثَمَّةَ جملةُ مخاطرٍ لا منْأَى من حصولها لعدم التقيُّدِ بالعقيدة الصحيحة، وتتمثَّلُ تلك المخاطر في تفشي الظلم والاستبداد وغياب اللُّحْمة بسبب ضعف رباط العقيدة، بجانب حصول الانهيار المعنوي وغياب روح التحدي والقوة والأنفة المستمدة من العقيدة، وقد كفَلتْ عقيدةُ الإسلام للناسِ الأمانَ من كلِّ هذه المعضلات إذا ما أخذوا بالإيمان الصحيح وعَضُّوا عليه بالنواجذ، ففي ضَعْفها ضررٌ بيِّنٌ على كيانِ الأمة، ليكون حَجرَ عثَرٍ في رُقِيها وازدِهارِها، فضْلا عنِ الوعيدِ الشديدِ الأُخْرَوِيِّ الذي ينتظرُهمْ.

والخلاص من هذا يتم برجوع الأمة إلى دينها ليزول الاستضعاف عنها، وتنمحي معالمه وآثاره، بالعزة والتمكين في الأرض.

---

(1) المشوخي، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص124.

المبحث الثاني:

الاستبداد بشتى صوره.

المطلب الأول: توظيف الدين لصالح الاستبداد.

المطلب الثاني: الاستبداد السياسي.

المطلب الثالث: الاستبداد الفكري والثقافي.

المطلب الرابع: الدعاية والإعلان الكاذب لصالح الاستبداد.

المطلب الخامس: الاستبداد والحصار (قطر مثالا).

المبحث الثاني:

الاستبداد بشتى صوره.

المطلب الأول: توظيف الدين لصالح الاستبداد.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما ما يضمن حقوق الأمة وصون مصالحها من السلب والنهب بوضع اليد، أو ادعاء أي مليكة زائفة، وحمايتها من الاستضعاف والاستبداد الذي ما زال يفتك بالأمة إلى يومنا هذا.

"لقد انقلب حال نظام الأمة رأساً على عقب حين اعتبر الخطاب الديني – بوعي أو بغير وعي ــ أن الجماهير المسلمة (الذين لا يعلمون) و (الذين لا يفقهون) وأصبح رجال الحكم والسلطة ومن ورائهم من أصحاب السطوة وموظفيهم من أصحاب الإجازات والاختصاصات الأكاديمية، والألقاب الرنانة الطنانة، هم (الذين يفهمون ويفقهون) وبالتالي هم الأوصياء على الأمة"[1].

فهناك دعوى يدعيها بعض أصحاب القرار والسلطة وهي:" قصور وعي الناس وجهلهم". وهي دعوى فاسدة، فهي ذريعة للتحكم بالناس، لأن الأمر في الأمة ومصالحها وحقوقها واتخاذ القرار فيها يجب أن يكون شورى، لقوله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى: 38]، والأمة هي صاحبة القرار، فهذه الدعوى إنما هي من أجل استضعاف الأمة وعدم السماح لها في اتخاذ قراراتها أو توجيه أمور حياتها، وهي لتمكين الاستبداد والفساد في الأمة.

وهذا مما علق عليه الكواكبي بقوله: "ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله، وأقل ما يعينون به الاستبداد تفريق الأمم إلى مذاهب

---

(1) عبد الحميد، أبو سفيان أحمد، **إشكالية الاستبداد والفساد في التاريخ الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية (بيروت – لبنان)، ط 2، 1433 هـ- 2012م، ص25.

وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضاً، فتتهاوى قوة الأمة ويذهب ريحها، فيخلو الجو للاستبداد ليبيض ويفرخ"[1].

كما يرى المدققون والسياسيون أن الدين والسياسة متكاتفان، وإذا صلح الدين كان ذلك أسهل طريق لإصلاح السياسة.

فدائماً تكون العلاقات بين الحكام والملأ قائمة على أساس تبادل المصالح، كما في قوله تعالى: {إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} [الأعراف: 113]، وهذه العلاقات التي تقوم على أساس المصالح سرعان ما تنقطع.

الاستبداد [2] هو أعظم مصيبة تصيب العباد، فهو وباء يأتي بالفتن، ويعطل الأعمال، كما أنه ظلام يعمي الأبصار، فالاستبداد قصة سوء لا تنتهي.

عرّف الكواكبي الاستبداد بأنه: "تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة" [3].

والاستبداد عند إطلاقه يراد به الحكومات خاصة، لأن من أعظم مظاهر هذه الحكومات وأضرارها أنها جعلت الإنسان شقياً في حياته، أما إطلاق الاستبداد من حيث تحكم النفس على العقل والأب والأستاذ والزوج، ورؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات فهو يطلق عليه الاستبداد مجازاً [4].

ويمكن القول بأن الاستبداد يجعل المستبد يتصرف تصرفات طائشية، للضغط على الشعوب واستنزاف ثرواتها وطاقاتها كماً وكيفاً، ونشر روح الاستضعاف والتبعية في المجتمع المدني والسياسي والقبلي من حيث التوظيف والمصالح الشخصية والانتماءات القبلية والاقتصادية والتجارية والسياسية، ليتمكن المستبد من السيطرة على المستضعف حيثما حلّ

---

(1) الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1849هـ، 1902م، ص26.

(2) قال ابن منظور: "استبد بالأمر يستبد به استبدادا إذا انفرد به دون غيره واستبد برأيه انفرد به". ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص81.

(3) الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، ص17.

(4) الكواكبي، المرجع السابق، ص17.

وارتحل، لأنه كما يقال أقرب صورةٍ هي الواقع وأبعد صورة هي الخيال، وأجمل صورة هي الحقيقة وهذه حقيقة كل ظالم مستبد غشوم يستضعف شعبه بالقهر، كما في حكاية فرعون مع قومه في قوله تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر: 29].

ويوضح لنا الدكتور الشيخ العلامة يوسف القرضاوي مخاطر الاستبداد ومفاسده على الفرد والمجتمع فيقول: "إن من أعظم هموم الوطن العربي والإسلامي الاستبداد، والاستبداد السياسي خاصة، استبداد فئة معينة بالحكم والسلطان برغم أنوف شعوبهم، فلا هم لهم إلا قهر هذه الشعوب حتى تخضع، وإذلالها حتى يسلس قيادها، وتقريب الباحثين بالباطل، وإبعاد الناصحين بالحق. هذا الاستبداد خطر على الأمة في فكرها وفي طريق المؤسسات التعليمية والإعلامية والتثقيفية والترفيهية والتشريعية، وجلها وإن لم يكن كلها في يد الدولة"[(1)].

"فالاستبداد وإكراه الناس يقتل روح الإبداع في المجتمع، وهو سبب من أسباب تخلف البلاد الإسلامية في هذه الأيام، ومنبع الأزمات التي نعيشها في بلادنا، ويعيشها العالم أجمع، فكثير من مظاهر التخلف والتفتت والتأزم ترجع لهذا السبب" [(2)].

إن المستبد السياسي يستخدم العلماء في إصدار الفتاوى التي تبرر ظلمه، وإن أخوف ما كان يخافه النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة من منافق عليم اللسان [(3)]، فالمفترض من العلماء أن يكونوا ناصحين وآمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، لا راكبين في هوى الظالمين يبيعون دينهم بدنياهم وعرض من الحياة الدنيا، ويجب على العلماء أن يتحلّوا بأعلى أنواع التقوى، فيكونون مستقلين بفتاواهم عن أي تأثير سلبي.

---

(1) القرضاوي، يوسف عبد الله، من مقال بعنوان "**هل صحيح أن الاستبداد من علامات الساعة**"، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، al-qaradawi.net، استرجع بتاريخ 2 /2018/6م.

(2) خضر، قاسم، **شخصية فرعون في القرآن**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين،2003، ص50.

(3) أخرجه أحمد، **مسند أحمد**، مسند العشرة المبشرين بالجنة – حديث مسند عمر بن الخطاب، ج 1، ص157، رقم (143).

ومن أبرز الطوائف التي تعطي السلطة المطلقة للحاكم، الطائفة "السلفية الجامية" أو التيار الجامي أحد أبرز التيارات السلفية التي توالي الحُكامَّ، موالاة كبيرة، وِفْقَ مبدأ السمع والطاعة لولي الأمر، ولعل البيئة الأولى التي ظهر فيها التيار، وهي "المملكة العربية السعودية" ما أضفى على المذهب السلفي قوة انتشار وجذورًا يستند إليها في نشر أفكاره وأهدافه [1].

ويجب على العلماء من هذا المنطلق ألا يعينوا المستبد لأن المؤسسات الفاسدة المستبدة تساعد على تثبيت دعائم الاستبداد ولا تساعد على تقديم أي إصلاح للأمة، بل تستضعف الأفراد والمؤسسات، بكل أنواع الاستبداد والضعف.

(1) بوابة الحركات الإسلامية نافذة لدراسة الإسلام السياسي والأقليات، www.islamistmovements.com/13327، استرجع بتاريخ 2014/12/19م.

المطلب الثاني: الاستبداد السياسي.

لا يمكن أن يوجد المستبد دون أن يكون له أعوان أو مؤسسات تدعمه وتساعده على استضعاف الناس، وعلى نشر استبداده وفساده.

فقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الفئة التي تعين المستبد وعبر عنها بلفظ الملأ، وهم "عين الأعيان وأصحاب السلطة في القوم، والذين يضايقهم المنهج الإيماني، ويقضي على مكانتهم، ويقف في وجه طغيانهم واستضعافهم للخلق"[1].

فالذي يساعد على قيام هذه الأنظمة وانتشارها هم الملأ ودورهم الفعّال، وهم في الأغلب ينقسمون إلى قسمين كما وضح لنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بأنهم بطانتان: أحدهما تأمر بالمعروف، والأخرى تحرض على الشر، لهذا قال عليه الصلاة والتسليم: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى" [2].

ومن أعظم بطانات السوء وأشهرها في التاريخ بطانة جنود فرعون، لذلك وصفوا بالأوتاد لأن الوتد هو الركن الذي لا يستقيم البناء دونه [3]، لذلك قال تعالى عن جنود فرعون: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر: 10].

فهؤلاء الجنود يلاحقون المؤمنين ويلحقون بهم الأذى، ولا يستطيع المستبد أن يفعل ذلك بدون مساعدة أعوانه من الملأ، الذين يساعدونه على استضعاف المستضعفين، وهذا النوع من الاستضعاف ليس وليد اللحظة لكنه قديم ومتكرر عبر التاريخ ولكن باختلاف المسميات والأشخاص [4].

---

(1) الشعراوي، **تفسير الشعراوي الخواطر**، ج16، ص10028.

(2) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب الأحكام، باب: بطانة الإمام وأهل مشورته، ج 9، ص 77، رقم (7198).

(3) الأوتاد: "الجنود الذين يشدون له أمره". الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج 24، ص 409.

(4) صوافطة، نادر مصطفى، **الطغيان دراسة قرآنية**، دار الفتح للدراسات والنشر، ط 1، 1438هـ – 2017م، ص87.

ونلاحظ أن هؤلاء المستبدين قد يكونون أفراداً أو جماعات أو حكومات، لكن أشد المراتب هي حكومة الفرد المطلق، وهؤلاء يستضعفون الناس ويذلونهم بالقهر والقوة وسلب الأموال، ولهم طرق كثيرة يمارسونها حتى يحققوا ما يريدون [1]، وقد ذكرها القرآن الكريم كالتالي:

1- التجبر والاستبداد:

قال تعالى: {وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} [الشعراء: 130]، فالمستبد إذن يستبد بشعبه ويستضعفهم بجبروته وتصرفه المطلق في شأنهم بدون الخوف من أي عقاب، وكل أمر يجب أن يكون بهواه وشريعته، ويسد أفواه الملايين عن النطق بالحق، فهو عدو للحق [2].

2- القتل والتعذيب والتنكيل:

دائما المستبد يستضعف شعبه بألوان من العذاب، ولا يراعي إنسانيتهم في مقابل حكمه، فهو يذيق المعارضين له ألواناً من العذاب، كما في قوله تعالى: {قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: 127]، وفي قوله تعالى: {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه: 71]، فكان فرعون أول من عذب بقطع الأيدي وتقطيع الأطراف، والصلب فصارت سنة لمن بعده [3]، فالقتل والتعذيب يمارس قديماً وحديثاً، واخترعوا اليوم أساليب وأدوات للتعذيب لم تكن تعرفها البشرية من قبل، فامتهنوا بها كرامة الإنسان لإذلاله واستضعافه.

3- فرض الرأي ومصادرة الحريات:

كان فرعون كذلك فهو أول من ابتدع هذه البدعة، عندما خاطب قومه بقوله تعالى: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى} [غافر: 29]، فهو يتصور أنه ناصحٌ لشعبه وآخذٌ بناصيته إلى الخير وأن الحق كما يزعم، وظلّ مستضعفاً لهم بالإذلال والقتل والاستحياء.

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، ص18.

(2) الكواكبي، المرجع السابق، ص22.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص304.

وإننا عندما ننظر في أوضاع أمتنا اليوم نرى أنها تعاني من الاستبداد في كافة النواحي، وهناك حكومات تسلطت على شعوبها، كما يمارس فيها قمع للحريات، وتضييق الخناق على الشعب، والحاكم دائماً يريد التخلص من معارضيه، فتتحول الدولة إلى دولة تقبل الاستبداد والظلم [1]، "إن الاستبداد السياسي الذي نعانيه ليس عصياناً جزئياً لتعاليم الإسلام، وليس إماتة لشرائع فرعية فيه، بل هو إفلات من ربقته ودمار على عقيدته!! فبقاء الكفر في الأرض والزيغ في شتى الأفئدة، يرجع إلى مسالك أولئك الذين شانوا تاريخنا ولوثوا دعوتنا، وأعزوا من أذل الله وأذلوا من أعز الله، إن الاستبداد صَنعَ هذه الأوضاع وحَماهَا، وقبر تحت ترابها الأخوة الإنسانية والدينية فليس ثم فرد يرغب ويرهب وآخرون يزدلفون ويرتقبون، ومراسم غريبة لوثنيات سياسية أعقد من الوثنيات التي اختلقتها الجاهليات الأولى"[2].

وعليه فإن الاستضعاف السياسي هو أقوى وسيلة وسلاح لدى المستبد لقهر شعبه واستضعافه والضغط عليه إعلامياً وسياسياً من قبل أهل الحل والعقد ورجال الدين الذين يشرعون للمستبد الفتاوى الكاذبة لصالح عرشه وملكه لممارسة الاستبداد والاستضعاف.

---

(1) العجيلان، إبراهيم بن صالح، **الطغيان في الأرض**، موقع الألوكة، http://www.alukah.net.

(2) الغزالي، محمد السقا، **الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية**، دار نهضة مصر، مصر، ط 2، 2000م، ص 56 و57؛ وانظر خضر قاسم، **شخصية فرعون في القرآن**، ص51.

المطلب الثالث: الاستبداد الفكري والثقافي.

العلم له سلطان حيث إنه يساعد في تنوير العقول، أما المستبد فيجتهد في إطفاء نور العقول، لأن أصحاب العلوم دائماً يعلّمون الناس كل علم نافع، وهم الذين عبر عنهم القرآن بالصالحين [1]، في قوله تعالى: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: 105].

ونلاحظ أن "المستبد يخاف من العلماء العاملين الراشدين المرشدين، لا من العلماء المنافقين أو الذين حشوا رؤوسهم محفوظات كأنها مكتبات مقفلة"[2].

فالإسلام أول دين حث على العلم، فكل إدارةٍ لمستبد تعمل جاهدة على إطفاء نور العلم وحصر الرعية في الجهل، وهنا مكمن الاستضعاف للشعوب في حصرهم في جهالة الظلمات وإبعادهم عن نور العلم، ولكن أول كلمة نزلت من القرآن هي (إقرأ) وأول شيء مَنّ الله به على الإنسان: {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 4، 5].

"ولكن قاتل الله الاستبداد الذي استهان بالعلم، حتى جعله كالسلطة يعطي ويمنح للأميين ولا يجرؤ أحد على الاعتراض"[3].

ومن أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم والفكر، وهو يسمى باستبداد المرء على نفسه، والأصل أن الله تعالى جعل الإنسان حراً قائداً لنفسه.

وإن انتشار الجهل والأفكار الباطلة بين الشعوب الإسلامية لهو أشنع وسائل الاستبداد القديمة والحديثة، ونظير هذا استبداد المرء بنفسه، أي إعجاب كل ذي رأي برأيه حيث حكم العقل على النقل فجعل العقل هو مصدر التشريع والحقائق وهذا مخالف للشرع، لأن النقل(الوحي) مقدم على العقل لأنه ممن خلق البشر وهو أعلم بمن خلق وهو سبحانه جديرٌ بتنزيل الأحكام الشرعية التي تناسبهم في مصالحهم التي يعيشون عليها.

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، ص41.

(2) الكواكبي، المرجع السابق، ص43.

(3) الكواكبي، المرجع السابق، ص47.

فالمصدر الأول للتشريع هو النقل، ومن جعل العقل هو المقدم على النقل فهو ظالمٌ مستبد وسيظل مستضعفاً لشعبه ما دام على هذه الحال وهذا الذي رآه فرعون حيث اعتقد أن رأيه صوابٌ حيث كان يستضعف شعبه في مقابل تحقيق رغباته وشهواته، ولذلك قال تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر: 29]. فقد رأى فرعون واعتقد أن رأيه صواباً، وهو كان يستضعف شعبه في مقابل تحقيق ملذاته وشهواته كاملة، حتى ولو فنيت الأمة كلها في مقابل تحقيق رغباته، ولذلك وصفه القرآن بأنه لا يملك المعرفة ولا الرأي الصواب كما في قوله تعالى: {فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود: 97]، يقول سيد قطب في ذلك:" إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صواباً، وأعتقده نافعاً، وإنه للصواب والرشد بلا شك ولا جدال، وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟ وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟ وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأياً؟ "[1].

فالمستبد برأيه يعتقد أن هذا الرأي فيه منفعة للناس وهذا بخلاف الحقيقة، فهو لا يريد أن يختاروا لأنفسهم، لأن هؤلاء الطغاة يظنون أنفسهم غير مخطئين، فعلى عامة الناس الأخذ برأيهم، فيكون استضعاف الناس وإجبارهم على أن يسلكوا مسلكاً لا يريدونه، لهو دليل صريحٌ يتخذ المستبد منه وسيلة ضغط بفرض قراراته على الشعوب باستمالتهم واستضعافهم حتى يذهبوا في مهب الريح، ويبقوا عالقين، حالهم حال من اتبع أهل الضلال والغواية على غير هدى ومن غير تبصر للحقيقة، كقوله تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم: 22].

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3595.

المطلب الرابع: الدعاية والإعلان الكاذب لصالح الاستبداد.

إن الهجمات الفكرية والثقافية والدعايات والإعلانات اجتاحت الأمة الإسلامية منذ أمدٍ بعيد، حيث رسخت فيها ثقافة الاستبداد المحلي والعالمي، فهي على وتيرة الغزو العسكري شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وهذا ألحق بأمتنا خسائر مادية ومعنوية فادحة. (1)

وقد حذرنا المولى عز وجل من طاعة الكفار، لما يترتب عليها من الفساد والخسران العظيم في الدين والدنيا، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران: 149]، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الاستبداد اليوم هو أشد خطراً من السابق، "وعليه فإن دعائم الاستبداد بنوعيه نابعة من أدواته المعادية للإسلام (كالصهيونية والتنصير والرأسمالية والشيوعية والديمقراطية والاشتراكية والغزو الفكري) وما يتنوع من هذه الأدوات من نظم وفلسفات هدامة"(2).

فالاستبداد اليوم هو أشد خطراً من السابق لأنه استشرى في الأمة وانتشر كانتشار النار في الهشيم فلا تخلو منه دولة إسلامية إلا من رحم ربك، بسبب الدعايات والإعلانات الكاذبة والمزيفة التي تؤثر على أفكار الناس وأذواقهم، وتسيطر على عقولهم، وهنا يبدأ استضعاف العقول والتحكم فيها بأفكار تافهة وغير صحيحة، وبالمقابل لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها، تأسياً بقول الإمام مالك رحمه الله: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، (3) ومما صلحت به الأمة في أول أمرها هو الأخذ بمبدأ الشورى وترك الاستبداد بكل صوره، وترك طاعة الكفار.

فقد قام المستعمر الغربي بجهود مضنية، بذل فيها الغالي والنفيس لتشويه الإسلام في نفوس المسلمين أنفسهم، حيث نجح في ذلك عندما استمال بعض أبناء المسلمين تحت

---

(1) المشوخي، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص113.

(2) الغزالي، محمد السقا، **الغزو الثقافي يمتد في فراغنا**، دار الشروق، ط1، ص 32.

(3) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفيحاء، عمان، ط 2، 1407هـ، ج 2، ص 205.

تأثير "العصرنة والثقافة الغربية" ومن هذا المنطلق تولد الاستبداد المحلي في نفوس المسلمين [1].

لذلك نقسم البحث حول الاستبداد إلى نوعين: عالمي ومحلي.

أولاً: الاستبداد العالمي:

حيث "نلاحظ وجود هجمة فكرية غربية، بفضائياتها وشبكتها العنكبوتية، ونفوذها العلمي والاقتصادي والسياسي، وتأثيرها السلبي في المسلمين عامة والشباب خاصة"[2].

ويضاف إلى ذلك أن الغرب والصهيونية العالمية تمكنوا من استغلال الإعلام بجميع أنواعه لتحقيق أهدافهم في الحرب على الإسلام وأهله.

ويتضح لنا ذلك من بروتوكلات حكماء صهيون، البروتوكول الثاني عشر الذي ورد فيه: "إن القنوات التي يجد فيها الفكر الإنساني ترجماناً له، يجب أن تكون خاضعة في أيدينا"[3].

وهذه الهجمة الفكرية هي ما تسمى بالغزو الفكري، حيث إنهم تمكنوا خلال مراحل أن ينشروا سمومهم وأفكارهم ومعتقداتهم، وقاموا بعدة خطوات:

1- تطلعوا بأن يجعلوا المسلم تحت تأثير الإنسان الغربي، فيشعر الأوروبي بأنه قوي أما المسلم فهو ضعيف.

2- قاموا بإرسال حملات استشراقية تنصيرية إلى العالم الإسلامي بدعوى أنها حملات طبية وخدمات إنسانية.

3- قاموا بمحاولات جادة لهدم الشخصية الإسلامية واعتبار الدين شيئا من الماضي.

---

(1) العجمي، عبد الله عوض، **الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع**، بحث مدعوم من إدارة الأبحاث بجامعة الكويت، ص383.

(2) عبد الحميد، **إشكالية الاستبداد والفساد في التاريخ الإسلامي**، ص29.

(3) أبو غنيمة، زياد، ويوسف، رمضان محمد خير، **السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية**، دار عمان – عمان، 1404هـ/1984م، ص 199.

4- تم إخضاع المسلمين بشكل عام، واحتلال بلادهم [1].

ونجد أنهم يقومون عبر فضائياتهم بنشر النموذج الثقافي الغربي وتجريد الشخصية الإسلامية من معالمها الفكرية والدينية والتاريخية، وكل ذلك من أجل تحقيق أهداف هذه الدول الغربية بحيث تمحو الثقافة الأخرى وهي الثقافة العربية واستضعافها [2].

فقد قاموا بهجمة قوية على أخلاق المسلمين من خلال مواد الإعلام والإعلانات، كما نلاحظ أن هذا ليس أمراً عشوائياً بل هو مخطط مدروس يريدون منه القضاء على الإسلام وأهله، وهذا ما جاء في بروتوكلات حكماء صهيون: "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا"[3].

هذا كله بغرض طمس معالم الهوية الإسلامية واستبدالها بالحضارة الغربية، واستضعاف المنهج الإسلامي القويم، قال تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30]، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، وسينتشر نور الإسلام في الآفاق لقوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: 8].

ثانيا: الاستبداد المحلي:

إن الاستبداد المحلي هو عبارة عن تفرّد الحكام بالتشريع والتنفيذ وإصدار القرارات، متخذين لذلك عدة وسائل، كالإعلام والمنابر الدينية ودعوى التعايش السلمي والانفتاح على الحضارات الأخرى، فهؤلاء الحكام استغلوا هذه الوسائل استغلالاً سيئاً، حيث نجم عنه حدوث فجوة بين الحاكم والمحكوم، أدت إلى الكراهية والحقد والضغائن، مما يؤثر سلباً بالكلية على أمتنا الإسلامية التي حباها الله بالعزة والتمكين إن هم ساروا على وفق منهج الإسلام الصحيح.

---

(1) العجمي، **الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع**، ص381.

(2) العجمي، المرجع السابق، ص383.

(3) منصور، عبد الحكيم، **بروتوكولات حكماء صهيون**، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2010م، ص 54.

ويطلق عليهم الشيخ عبد الرحمن الكواكبي اسم "المتمجدون" وهم الذين يطلبون المجد والعلوّ بطرق غير صحيحة فقال عنهم: "المتمجدون يريدون أن يخدعوا العامة، وما يخدعون إلا أنفسهم، بأنهم أحرار في شؤونهم لا يزاح لهم نقاب، ولا تصفح لهم رقاب"[1].

فالمستبد يستخدم أسلوب الإغراء مع حاشيته وأسلوب التحذير والتهديد لمن يخالفه، وسلفهم في ذلك فرعون عندما أغرى حاشيته من السحرة بالمنصب والمال إن كانت لهم الغلبة على موسى عليه السلام [2]، قال تعالى حكاية عنهم: {وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [الأعراف: 113، 114].

ومما يزيد الطين بلةً علماء السلاطين الذين يصدرون فتاوى لصالح هوى الحكام والعياذ بالله، كما قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الأعراف: 175].

ولذلك كان لسيد قطب كلام رائع في هذا الصدد حيث قال: "وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة الدين ثم يزيغ عنها ويعلن غيرها، ويستخدم دينه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسكان الأرض الزائل، يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً"[3]، وبالتالي فإن من وقف في وجه أي ظالم مستبد فإن عاقبته التهميش والبطالة وكبت حريته واستضعافه، ولأهمية مقاومة استبداد الظالم فقد جعل الأجر العظيم لمن يقول الحق أمام سلطانٍ جائر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطانٍ جائر". [4]

---

(1) الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، ص60.

(2) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص252.

(3) قطب، **في ظلال القرآن الكريم**، ج3، ص678.

(4) أخرجه أبو داود، في **السنن**، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج 4، ص 124، رقم (4344)؛ والترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق/ أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1395هـ-1975م، أبواب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، ج4، ص 471، رقم (2174).

المطلب الخامس: الاستبداد والحصار (قطر مثالا).

الحصار هو اجتماع الجيوش حول منطقة ومنعها من جميع صور التواصل حتى يمل المحاصرون ويتراجعوا، وهذا يعتبر من صور الحصار القديمة وقد مورست في حق نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، واليوم نسمع ونرى صوراً جديدة للحصار، كالحصار الاقتصادي والتجاري والتقني والصناعي، بل وحتى الطبي والعلمي [1].

فقد حوصر نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم مرتين: حيث وقع الحصار الأول سنة سبع من البعثة في شعب أبي طالب وكان لمدة ثلاث سنوات حيث أجمعوا على أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم وكتبوا صحيفة بذلك [2].

والحصار الثاني كان في المدينة المنورة، وكان اقتصادياً، لقوله تعالى: { هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون: 7]، فهم ظنوا أنهم يستطيعون التضييق على الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال فيه سيد قطب رحمه الله: "إنها قولة يتجلّى فيها خبث الطبع، ولؤم السريرة، وهي خطة التجويع التي يبدو فيها خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة، ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين"[3].

وأيضاً حوصر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حصاراً عسكرياً، تحدث فيه القرآن الكريم عن حالة الخوف والجزع والفزع الذي أصيب به المسلمون كما في قوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: 10].

---

(1) المشوخي، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص25.

(2) ابن قيم الجوزية، محمد، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ/1994م. ج 3، ص 25.

(3) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3579.

هذا الحصار بأنواعه استخدمه العدو وسيلة ليستضعف به الرسول عليه الصلاة والتسليم وأصحابه، وليحقق أهدافه، في إيقاف مسيرة الدعوة عندما أفلست جميع محاولاتهم لإيقافها.

وفي هذا الصدد جديرٌ أن أذكر نبذة عن الحصار الجائر الذي مورس ضد دولتنا الحبيبة قطر الأبية.

فمن تاريخ 2017/6/5م وحتى تاريخ كتابة هذه السطور يكون قد مضى على الحصار قرابة 520 يوماً.

فقد مارست الدول المجاورة لدولتنا الحبيبة قطر ما يماثل هذه المقاطعة، وهو حصار جائر من أجل استضعاف دولتنا الحبيبة قطر، وشعبها الأبي الكريم، حيث "إن هذا الوطن أسس بعزم الأجداد، فحرص أهل قطر على التمسك بهويتهم الوطنية والدينية، فقد ركبوا المصاعب والأنواء لينعم أهل قطر بهذه الحياة الرغيدة الهانئة في ظلّ القيادة الرشيدة، متآلفين متضامنين ناصرين للحق ومناهضين للباطل وداعين للخير باذلين الغالي والنفيس من أجل عزة الإسلام وأهله، وموطدين دعائم السلم وحقوق الإنسان، محترمين للمواثيق والقانون الدولي في التعامل مع الغير"[1].

وهذا الحصار المفاجئ سبب تحدياً كبيراً، حيث تم التضييق على قطر بأساليب متعددة منها قطع أواصر القرابة، والحرمان من أداء الفرائض الدينية كالحج والعمرة، وهذا ظلمٌ واضحٌ وصريحٌ.

ولكن دولة قطر مارست تحديها ضد الحصار الظالم بكل أنواع التحديات ومن ذلك التحام الشعب حول قيادته الرشيدة، وحكمة القيادة في التعامل مع هذا التحدي، وكل ذلك في سبيل تحقيق رؤية قطر 2030م، ولم يمنعها ذلك الحصار الظالم من أداء رسالتها، بل لم يزدها إلا عزيمة وإصراراً في رفع وتيرة عملها لتحقيق إنجازات كبيرة.

---

(1) الكواري، غيث بن مبارك، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية، مقال **قطر عالجت تبعات الحصار بحكمة**، http://www.al-watan.com، استرجع بتاريخ 2018/10/1م.

وقد هدف هذا الحصار إلى استضعاف دولتنا والسيطرة عليها، لتستكين وتضعف وتخضع لشروطهم الجائرة التي يريدون فرضها علينا، وكما رفض الرعيل الأول تبعات الحصار فعلينا أن نتأسى بهم باتباع الأنبياء عليهم السلام، فلا نخضع ولا نستكين ولا نضعف [1]، كما في قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146].

"أي فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي في سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم، من حرب أعداء الله ولا نكلوا عن جهادهم، "وما ضعفوا" يقول: وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم، "وما استكانوا" يعني: وما ذلوا: فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم في خيفة منهم، ولكن مضوا قدماً على بصائر ومنهاج نبيهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله واتباعاً لتنزيله ووحيه"[2].

فالحصار هو نتيجة حتمية للاستبداد السائد، إلا أن قطر والحمد الله حكومة وشعبا يد واحدة، وأبية على الضيم بتلاحمها حول قيادتها الرشيدة.

إنَّ استمرار الظلم ونُظُمَ الاستبدادِ مرهونٌ باسْتمرارِ الوهنِ وفُقدانِ المجتمع لعافيته في المقاومة، فعقلُ المستبد في عيْنيْهِ، حيث يسعى المستبِدُّ لتفريقِ الأمم إلى مذاهب وشِيَعٍ متعاديةٍ تُقاوم بعضُها بعضا فتنْهَارُ قُوَّةُ الأمةِ وتذهب ريحها فيخلو الجو للاستبداد ليبيضَ ويفرخ، وهذا القرآن الكريم مملوءٌ بتعاليم إمامَتِهِ الاستبدادِ وإحْياءِ العدل والتساوي، وإنَّ اللهَ لبالمرصادِ لكُلِّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مستكبرٍ مُسْتبِدٍّ ظالمٍ لنفسه ولأمته.

(1) المشوخي، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص127.

(2) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج7، ص269.

المبحث الثالث:

التفرق واختلاف الكلمة.

المطلب الأول: استضعاف الأمة وإشغالها عن مهمتها الأساسية.

المطلب الثاني: كون التفرق والتنازع سبيلا لاستضعاف الأمة.

المبحث الثالث:
التفرق واختلاف الكلمة.

المطلب الأول: استضعاف الأمة وإشغالها عن مهمتها الأساسية.

أرشد الله الأمة الإسلامية في كتابه العزيز بتقوية أواصر القرابة واللحمة والقيام بالمهمة الكبرى وهي الدعوة إلى الخير، إقتداءً بقوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]، فالعبرة المستخلصة من هذه الآية هو أن فوز الأمة وفلاحها لا يتم إلا بالدعوة إلى الله ونشر دينه، وهذه وظيفة الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وإن طريق الدعوة هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه لكنه محفوفٌ بالمكاره والمخاطر، فلا بد من الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ونبذ كل ما له صلة بالتفرقة والتنازع والشقاق، كما كان معروفاً عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أزاح كل هذه العراقيل التي من شأنها إضعاف الأمة وتفرقتها واستئصالها، فهذا هو سبيل الشقاء، وقد أرشدنا الله تعالى إلى الصراط المستقيم في الآية الكريمة، قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مفسراً للآية السابقة: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله" [1].

وهكذا يحرص الشيطان على التفريق بين الناس وإشاعة الفتنة، فالتفريق هو سبب لضياع الأسر والمجتمعات وتمزيقها، كما أن التنازع والفرقة هو طريق الكفار وإن أظهروا

---

(1) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج7، ص 93. وحكمت، ياسين، **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة المنورة، ط 1، 1420هـ، 1999م، ج 2، ص 124.

الاتحاد واتفاق الكلمة، فالتنازع سبب الفشل وذهاب القوة لقوله تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا} [الأنفال: 46].

فالتنازع هو أحد أسباب ضعف الأمة، وهو يعني شمول الفشل لجميع أمور الحياة حيث عبر عنه القرآن الكريم بذهاب الريح، فيطمع فيها كل قوي.

وقد يكون ذلك بسبب العُجب بالنفس، مما يؤثر على صفاء الأخوة فإذا أعجب الإنسان بنفسه لا للحق والصواب، كان ذلك سبباً لضعف القوة، وتمزيق وحدة المسلمين [1].

وهذا التنازع والتفرق يشغل الأمة عن همومها العظيمة، وتحدياتها، حتى يأكل بعضها بعضاً، وهو يؤدي بالناس والأمة إلى فقد الشعور بوحدة الهم ووحدة المصير، وهذا بدوره يؤدي لضعف الأمة، فالأولى أن توجه جهود أبناء الأمة وطاقاتها نحو البناء والتنمية ومواجهة العدو [2].

والإسلام وحده استطاع أن يكوّن مجتمعاً متكاملاً ومتسانداً يعمل من أجل خير المجتمع، فالإسلام يعتبر الفرد هو نواة المجتمع، ولا يعترف بالمجتمع إذا كان لا يعمل لمصلحة الفرد.

ومما سبق يتضح أن الرابطة التي تؤلف ولا تفرق هي لا إله إلا الله وهي تجعل المجتمع كله كالجسد الواحد، أما ما سوى ذلك هو دعوى للفرقة والاختلاف التي تؤدي لضعف الأمة وبالتالي استضعافها.

---

(1) حسن، عثمان، **آثار الإفتراق على الأمة الإسلامية**، بتصرف، مقال في منتدى التوحيد، http://www.eltwhed.com/vb، استرجع بتاريخ 2018/4/10م.

(2) حسن، عثمان، المرجع السابق.

المطلب الثاني: التفرق والتنازع سبيل لاستضعاف الأمة.

إن أعداء الإسلام يعرفون مكمن الخطر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي اتفاق الكلمة والوحدة، فيعملون على نشر الخلاف، وإضعاف المسلمين، والأدهى من ذلك أن يمارس هذا الاستضعاف من أبناء المسلمين أنفسهم.

وكما هو واضح في حديث عامر بن سعد عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله عليه الصلاة والتسليم ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي عز وجل ألا يهلك أمتي بالسنة، فأعطانيها، وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" (1). فالله سبحانه وتعالى ضمن لهذه الأمة ألا تزول بسبب خارجي لكن زوالها وضعفها سيكون بسبب تسلطهم على بعضهم البعض، وجعل عدوهم من بينهم وهذا الذي لم يضمن لها.

فالتفرق:" هو تشتيت الشمل والكلمة، وإيقاع التباين بين أمرين من نوع واحد" (2).

فقد نهى الله سبحانه وتعالى نبينا الكريم عليه الصلاة والتسليم عن التفرق، قال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46] فهو يشلّ حركة المجتمع، ويوهن المسلمين ويضعفهم، لذا أمر الله المسلمين بالاتحاد فيما بينهم، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، حيث كانت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقضي على أي بادرة خلاف، ويطفىء فتيلها كي لا تشتعل، وكل ذلك من أجل جمع كلمة المسلمين.

فنجده يشدد في كلامه لمن يريد تفريق وَحَدة الأمة، أو يريد رفع شعارات الجاهلية فيها، ففي الصحيحين: "عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله

(1) أخرجه مسلم، **في صحيحه**، سبق تخريجه ص 83.

(2) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ج1، ص103.

عليه وسلم في غزاة _ قال سفيان: مرة في جيش _ فكسع [1] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال:" دعوها فإنها منتنة" [2].

وإن نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم شدد في آخر لحظات حياته على وحدة الكلمة، واجتماع كلمة المسلمين، فالله سبحانه وتعالى نهى عن الفرقة في قوله تعالى: {وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، أي لا تتفرقوا عن دين الله وكتابه، واجتمعوا على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى أمرهما.

وإن التفرق يؤدي لوهن الأمة وضعفها، وهذا يمكن لأعداء الأمة ويسهّل استضعافها وإذلالها، فواجب الأمة التعاضد والتآزر ونشر الألفة والمحبة والتعاون على البر، عملاً بقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2].

والعدو يحقق أهدافه من خلال أبناءنا وبني جلدتنا، فهم يحاولون التسلل للأمة الإسلامية من خلال ثغرات موجودة بيننا، وسهل عليها من خلال هذه الثغرات التسلط علينا، وكذلك يتسلط فيها القوي على الضعيف وما حيلة الضعيف إلا الرضوخ.

وتمكن العدو من تمزيق الوحدة وقسم الدول العربية إلى أكثر من عشرين دولة والهدف من ذلك كله هو إضعاف وحدة المسلمين وتمزيقهم، كما أنهم تمكنوا من تكوين تحزبات مختلفة هنا وهناك ترفع شعارات واهية بناءً على خطط مدروسة، وذلك لتزداد الأمة ضعفاً على ضعف، وهكذا تمكنت من تحقيق ذلك من خلال بعض أبناءنا وبني جلدتنا [3] وهذا

---

(1) الكسع، " أن تضرب بيدك على دبر شيء أو برجلك" ابن فارس، **مجمل اللغة**، ج1، ص784.

(2) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب نفسير القرآن، باب: قوله" سواء عليهم أستغفر لهم أم لم تستغفر لهم لم يغفر الله لهم"، ج6، ص154، رقم (4905)؛ ومسلم، في **صحيحه**، كتاب الآداب، باب: النهي عن دعوى الجاهلية، ج8، ص19، رقم (6676).

(3) نوفل، أحمد، **دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي**، مركز الزيتونه للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، ط 2، 1431هـ، ص 108.

ما ذكره رسولنا الكريم عليه الصلاة والتسليم، في الحديث السابق بأن الله تعالى منعه من الإجابة على السؤال الثالث.

ومن أبناء المسلمين وهم المتفرنجة الذين نقلوا وباء التمزيق والتشتت للأمة الإسلامية، حيث أنهم خدعوا أوطانهم بأنهم يريدون النهوض بالوطن أو رفع راية الوطن، ولكنهم لم يجنوا مما فعلوا سوى التفكك والضعف، ومهدوا الطريق للعدو للإستيلاء على خيرات البلاد، والسيطرة على أفكار الشعوب، وتمزيق الشعوب إلى أحزاب متناحرين ومتفككين، فمن المستفيد الأول والأخير من ذلك كله؟ [1].

وما وقع للمسلمين في الأندلس خير شاهد على ذلك التفكك والتنازع، حيث أبيدت أمم وسبيت نساء وأطفال، وبعد هذا الضعف ارتد من بقي منهم عن دينه، ولهذا نهى الله سبحانه وتعالى عن التفرق [2] في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159].

وهذا التفرق والتنازع والضعف سبيل للفتن وانتشارها، وهي الفتن التي أمر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم باعتزالها إذا انتشرت، كما في الصحيحين أن أبا هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به"[3].

وقد آل حال أمتنا الإسلامية إلى الضعف والاستكانة بسبب التنازع والفرقة والانشقاق والعصبيات، بالإضافة إلى ما تشهده الشعوب الإسلامية من فتن داخلية وتخبط

---

(1) الغنيمان، عبد الله محمد، **مجلة الجامعة الإسلامية (ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة)**، سنة 17، العدد 65-66، محرم – جمادى الآخرة، 1405هـ – 1985م.

(2) الغنيمان، المرجع السابق.

(3) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ج 4، ص 198 و199، رقم (3601)؛ ومسلم، **في صحيحه**، كتاب الفتن، باب: الساعي في الفتنة، ج 8، ص 168، رقم (7350).

وهمجيةٍ وعشوائية وتحزبات وفتن، لهذا حذرنا الشارع على لسان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من ذلك ضماناً لوحدتنا واعتصامنا [1].

ولقد جاء الدينُ الإسلاميُّ مُهذِّبا للأديان وناسخا لها ومهيمنا عليها مُؤَسَّسَا على العدْلِ والعزم ولِمّ الشَّمْلِ، فوضع شريعةً صالحة لكلِّ زمان ومكان وأوْجَد مَدَنيةً فِطْرِيةً ساميةً، قائمة على نبذ الفرقة والخلاف اللذان يؤديان إلى عواقب وخيمة، وقد قال تعالى في محكم التنزيل: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، حيثُ يشكل التفرق أحد أخطر الأدواء التي تنخر الدول والأوطان فتتركها جدْبا من العطاء خاوية من ءالياتِ التقدمِ والنمو فهو عقَبةٌ وعراقيلٌ وقيودٌ وأغْلالٌ تكْبَحُ من تطور الحياة وسيرها نحو التشتت والتمزق، ولا شك أنَّ مصيرَ أهل التفرق هو الخسران في الدنيا والآخرة.

(1) المشوخي، زياد، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص108.

المبحث الرابع:

الركون للظالمين.

المطلب الأول: تسلط الظالمين بعضهم على بعض.

المطلب الثاني: الظلم سبب هلاك الأمم.

المطلب الثالث: عقوبة الظالمين.

المبحث الرابع:
الركون للظالمـــــــــــين

المطلب الأول: تسلط الظالمين بعضهم على بعض:

يعتبر ظلم الناس وتهميشهم وهضم حقوقهم من أكبر كبائر الذنوب المتفشية في الأمم السابقة، فهو حقيقةٌ تاريخية، استخدمها الجبابرة والفراعنة ومن على شاكلتهم، كما هو معلومٌ من سير أولئك الطغاة المتجبرين الذين ذكروا في القرآن الكريم.

فقد ذكر الباري سبحانه وتعالى حال الظالمين وخاصة المستكبرين منهم، وبيّن حال أتباعهم من المستضعفين الذين ظلموا أنفسهم بحرمانها من خيري الدنيا والآخرة، ظناً منهم أن أوليائهم من المستكبرين يملكون لهم نفعاً يوم القيامة وأنى لهم ذلك، قال تعالى: {ولو ترى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} [سبأ: 31]، فالظالمون في الآية صنفان: منهم المستضعف، ومنهم من استكبر، وفي هذا ذكر الزحيلي ما نصه:" لو تنظر أيها الرسول حين يكون الكافرون أذلّة مهانين محبوسين في موقف الحساب، يتخاصمون ويتحاجون ويتحاورون فيما بينهم ويتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب لرأيت العجيب والمخيف"[1].

ثم إن الظالم بطبعه ودناءة نفسه يتسلط على الضعيف مستخدماً قوته وجبروته، من جندٍ وسلاحٍ وعتادٍ وجاهٍ ومالٍ، لاستضعاف المظلوم الضعيف الذي لا حول له ولا قوة، وقد غفل هذا الظالم عن أن الله تعالى سيقتص لكل ضعيفٍ مستضعف، لأن الله تعالى حكمٌ عدلٌ ولا يظلم عنده أحد، ففي الحديث القدسي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج22، ص187.

أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم، في القصاص: "حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ"[2]، فإذا كان القصاص للحيوانات فما بالنا بالبشر، ولا ننسى أن الخطاب السابق في سورة سبأ هو لكل عتلٍ جواظٍ مستكبر أيضاً.

وإن الظالمين وحدهم لا يملكون قوة ذاتية تجعلهم يمارسون التسلط والجور على غيرهم، ولكن هؤلاء الظلمة يستمدون قوتهم من أزلامهم وأتباعهم من سفلة القوم الذين يسبحون بحمدهم.

والظلمة يفرضون آراءهم على أقوامهم، ويجعلونها آراء أو قوانين إلزامية، ولا يعطونهم الحق في القبول والرفض، فمن يرفض تصادر حريته ويحرم من حقوقه المشروعة [3].

ولا شك أن من سكت على ظلم الظالم، وتسلطه على الضعيف، فهو مؤيدٌ ومناصرٌ له، وعاقبتهما سواء، ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ، وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَشْبَاهُ الظَّلَمَةِ،

(1) أخرجه مسلم، **في صحيحه**، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، ج 8، ص 16، رقم 6664.

(2) أخرجه مسلم، المرجع السابق، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، ج 8، ص 18، رقم 6672.

(3) رمضان، أحمد خالد، **الطغاة والطغيان في القرآن الكريم**، مقال نشر بمجلة البيان، العدد 294، صفر 1433هـ.

حَتَّى مَنْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا، أَوْ لاقَ لَهُمْ دَوَاةً فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ يُرْمَى بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ " [1].

فيجب علينا توخي الحذر والبعد عما له صلة بالركون إلى الظالمين بأي شكل وحجة وعذر، للوقاية من وقوع الظلم، وفي هذا إشارة إلى إضعاف الحاكم ومنعه من ارتكاب الظلم، إذا وقف الجميع في وجهه، طلباً لنصرة كل مظلوم.

والله سبحانه وتعالى حرّم الظلم ونهى عنه كما هو مستفيضٌ في الآيات والآحاديث النبوية، فقد قال الله تعالى: { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود: 113]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[2]، ورتب عليه الجزاء، وقد استطرد رشيد رضا في تفسيره للآية السابقة بقوله: "بل تكون غايتكم الحرمان مما وعد الله رسله ومن ينصره من المؤمنين من نصره الخاص، فالتعبير بـ "ثم" للدلالة على الغاية والعاقبة المقدرة لهم، إن ركنو إلى أعدائه"[3].

فالله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، نهانا بصريح الآية عن عدم الركون للظالمين وعدم الموافقة على أعمالهم كما في قوله تعالى: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود: 113].

ويقف الشعراوي عند الآية السابقة فيقول:" آفة الدنيا هي الركون للظالمين، لأن الركون إليهم إنما يشجعهم على التمادي في الظلم، والاستشراء فيه، وأدنى مراتب الركون

---

(1) أخرجه ابن حنبل، أحمد الشيباني، **الورع**، تحقيق/ زينب القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403هـ – 1983، ص93؛ جرار، نبيل سعد الدين، **الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء-زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد**، أضواء السلف، ط1، 1428هـ، 2007م، مسند عبد الله بن مسعود الهذلي، الإمارة، ج 4، ص 521 - 522، رقم (4088)، قال عنه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف: غريب.

(2) أخرجه مسلم، **في صحيحه**، كتاب الآداب، باب تحريم الظلم، ج 8، ص 18، رقم 6668.

(3) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص141.

للظالم ألا تمنعه من ظلم غيره، وأعلى مراتب الركون إلى الظالم أن تزين له هذا الظلم، وأن تزين للناس هذا الظلم"[1].

والركون هنا هو المجاملة والمداهنة للظلمة، والميل إليهم بالمحبة، والركون إلى هؤلاء الظالمين يساعدهم على التمادي في الظلم، لذلك حذرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من الظلم وأمرنا بالابتعاد عن الظالمين وعدم مخالطتهم، وأن من يركن للظالمين فلا بد أن تمسه النار.

فالظلم على درجات: أدنى أنواع الظلم ظلم الإنسان نفسه بالمعاصي والذنوب، وأعلى أنواع الظلم هو ظلم الآخرين بالاعتداء على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم وهناك درجة أعلى من كل هذه الدرجات وهي أن يدعو الإنسان إلى الظلم ويفسد في الأرض.

وعليه تبقى العلاقة بين الظالم والمستضعف علاقةً مصيرها التفرق والنفور والتبرؤ في موقف الحساب أمام الله سبحانه وتعالى، فإن الله سبحانه وتعالى قال: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: 67]، فلا خلة ولا صداقة بينهما.

(1) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج11، ص6715.

المطلب الثاني: الظلم سبب هلاك الأمم.

يعم الأمة الهلاك بسبب ما فعلوه بأنفسهم، وبسبب المفاهيم الخاطئة والأفكار والأعمال التي مارسوها، والتي تتعارض مع ما أمر به الإسلام، فهم لما تعودوا على الظلم وأصبح عادةً لهم، وألفوه، سلط الله تبارك وتعالى بعضهم على بعض.

فإذا تعودنا على الظلم مصيبة تصيب المجتمع، والركون للظالم يجعل الإنسان عرضة لأن تمسه النار، وكذلك نكون في عداء مع منهج الله سبحانه وتعالى.

فهم بالتالي يكونون بذلك السبب في تطبيق سنة الله فيهم بأن يبيدهم جميعهم، أو يعذبهم عذاباً شديداً، فمن الآيات الكريمة يتضح لنا أن الأمم الظالمة كان نهايتها الزوال والهلاك كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ، وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 100 - 102].

"وهذا الظلم نوعان: الأول: ظلم الأفراد لأنفسهم بالفسق والفجور والخروج عن طاعة الله والتظالم فيما بينهم. والثاني: ظلم الحكام على نحو يهدر حقوق الأفراد ويذهب بعزتهم ويعودهم على حياة الذل والمهانة، مما يجعل الأمة ضعيفة، غير صالحة للبقاء فيسهل على الأعداء الاستيلاء عليها واستعبادها فيكون هذا محقاً لها وفناءً لشخصيتها"[1].

"ومن صور الهلاك أيضاً ضياع مصالحها وتعطل أعمالها، وتأخر إنتاجها، فيكون موتها وهلاكها هلاكاً آنياً بتسلط الأقوياء عليها واستضعافها واستذلالها"[2]. كما في قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} [الكهف: 59]،

"فالإهلاك إما بعذاب الاستئصال لأقوام الرسل الذين كذبوا بهم، مثل قوم نوحٍ وعادٍ وثمود، وإما بإذلالهم واستيلاء الأمم القوية عليهم، بسبب ظلم بعضهم بالفسق والفجور، ولقد أهلك الأمم العاتية لما ظلموا أنفسهم وأصروا على الكفر، وكذبوا بالبينات الدالة على

---

(1) الغريب، **معالم السنن الربانية في أحداث الثورة المصرية المعاصرة**، ص23.

(2) الغريب، المرجع السابق، ص23.

صدق الرسل فلم يؤمنوا بهم وعارضوهم وقاوموهم، قال تعالى: {وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس: 13]، إخباراً عن قسوة قلوبهم وشدة كفرهم، وإفراطهم في العناد والتحدي، فلم يعد هناك أمل في إصلاحهم، ولا فائدة من إمهالهم بعد إقامة الحجة عليهم ببعثة الرسل"[1].

وباستيلاء الظلم وانتشاره تصبح الدولة ضعيفة في جميع جوانب الحياة اقتصادياً وعمرانياً وعسكرياً مما يعطي الضوء الأخضر لأعدائها، ليستولوا على مواردها وخيراتها طمعاً وجشعاً.

وعليه فإن الظلم يخلّف آثاراً سلبية في نفوس الشعوب فيتولد لذلك الزهد في العمل والإنتاج وانتشار الكسل والبطالة وهكذا يبقى الاستضعاف مشرئباً في نفوس الظالمين، وبذلك تستحق الأمم الظالمة الهلاك والدمار لأن الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43] وقوله تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل: 118].

(1) الزحيلي، وهبة، **التفسير الوسيط**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ، ج 2، ص 951، انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج14، ص391.

المطلب الثالث: عقوبة الظالمين.

إن الله سبحانه وتعالى ذكر عقوبة كل ظالمٍ سواء أكان الظالم فرداً أم جماعة، حيث استفاضت الآيات والآحاديث بالتنويه إلى مصير الظالم وعقوبته **ويتجلّى ذلك في الأمور الآتية:**

1- **بغض الله لهم:** قال تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: 57] "والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بالخروج عن سنن الفطرة والكفر بالأنبياء الذين يطالبون النفوس بتقويتها"(1).

2- **انتفاء النصرة والمعية الإلهية لهم:** قال تعالى: { وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [الشورى: 8] "لو شاء ربك لخلق الناس على غريزة تميل إلى الحق، وفطرة يسطع فيها نور الهداية إليه بدون حجابٍ من الهوى والشهوة أو ظلمة الفكر وستر الغواية، فكانوا جميعاً على مثال الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسانٍ وكانوا من أهل السعادة وسكان دار النعيم، ولكن قضى ربك أن يخلق الإنسان إنساناً يكله إلى فكره ويدعه إلى سعيه وكسبه، فلا يزال يتخبط في الاختلاف وسيجزيهم الاختلاف إلى دار الشقاء بعد الخزي في دار الفناء، إلا أولئك الذين رحمهم ربك من هداة العالمين"(2).

3- **حرمانهم من الهداية والتوفيق في شؤون حياتهم:** قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: 51]، قال ابن جرير: "يقول فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متولٍ أحداً إلا وهو بدينه"(3).

---

(1) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج3، ص262.

(2) رشيد رضا، المرجع السابق، ج2، ص224.

(3) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج10، ص 400؛ وانظر ابن عطية، أبو محمد الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ، ج2، ص204.

4- **الوعيد بسوء العاقبة والمنقلب:** في قوله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: 227] علّق الشعراوي بقوله: "غداً تعلمون عاقبة تكذيبكم، فآيات الله تسير أمامكم، فكل يوم يزداد المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتناقص عدد الكافرين، كل يومٍ تزداد أرض الإيمان وتتراجع أرض الكفر، ألم يقل الله تعالى: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الأنبياء: 44] فهذه إذن مقدمات ترونها بأعينكم، وكان ينبغي أن تأخذوا منها عبرة وعظة فبوادر نجاح الدعوة وظهور الدين واضحة، هذا معنى"[1] {فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الشعراء: 6].

5- **عدم الفلاح في الدنيا والآخرة:** قال تعالى: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: 21]، لقد عبر القرآن الكريم بلفظ الفلاح وهي أبلغ كلمة لأن العرب إذا قالوا أفلح فلان فإنه فاز فوزاً في منتهى الفوز والظفر، وبالتالي من نفي عنه الفلاح فعاقبته الخسران المبين، ولا يفلحون بأي حالٍ من الأحوال ما داموا قائمين على الظلم ففي الآية" لم يقل أنتم الظالمون، لقد أطلق القضية، وترك للعقول أن تميز"[2].

6- **النهي عن القرب من الظالمين والركون إليهم:** في قوله تعالى: {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68] "فيشير الحق سبحانه إلى أنه قد أنزل حكماً في البداية، وهو الحكم الذي نزل مع الكافرين في مكة، حيث استضعف الكافرون المؤمنين، ولم يكن لهم المنهج الإيماني قد جاء بمنع المؤمنين أن يجالسوا الكافرين، فقد كان بعض المؤمنين عبيداً للكافرين، وبعض المسلمين الأوائل كانت لهم مصالح مشتركة قائمة مع الكافرين، وجاء الحكم: إن ولغ هؤلاء الكافرون في الدين بالباطل فاتركوا لهم المكان"[3]فعلى المسلم أن لا يقترب من الظالمين خوفاً أن يصيبه ما أصابهم وفي الآية نهي صريح عن ملاطفة الظالمين وقربهم.

---

(1) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج17، ص1038؛ وانظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج19، ص421.

(2) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج18، ص1092.

(3) الشعراوي، المرجع السابق، ص2728.

" وبالرغم من هذا الوضوح والبيان كفر بعضهم وعاند بعضهم وعاند وخالف، فسلّى الله رسوله ووعده بالنصر، وتوعد من كذبه بالهلاك، فقال تعالى: {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} [الدخان: 59]، أي انتظر أيها النبي ما وعدناك من النصر عليهم وإهلاكهم وما يحل بهم إن استمروا على الكفر، فإنهم منتظرون ما يحل بهم وما ينزل بك من موتٍ أوغيره وسيعلمون لمن يكون النصر والظفر وعلّو الكلمة في الدنيا والآخرة"[1].

7- **عدم قبول معذرتهم وتطويقهم باللعنة وسوء الدار**: قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: 52] "أذكر يا محمد لقومك على سبيل العظة والعبرة وقت تخاصم وتجادل الكفار في النار، ومنهم فرعون وقومه فيقول الأدنياء والأتباع للرؤساء والأشراف والكبراء: إنا كنا تابعين لكم، وقد أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، فهل أنتم تدفعون عنا جزءاً من العذاب أو تتحملون عنا بعضه! فأجابهم المستكبرون: إننا جميعاً في جهنم، وقد انجزم الأمر بحصول الكل منا ومنكم فيها، وإن حكم الله قد نفذ واستمر بذلك، فكيف نغني عنكم"[2].

فذلك يومٌ لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إلا بباطل لأن الله قد عذّرهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فلا حجة لهم في الآخرة.

وفي حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يدني المؤمن حتى يضع كنفه عليه ويستره من الناس ويقره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: رب أعرف، حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص343، وانظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج 21 ص402.

(2) الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج2، ص2277.

اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد "هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"[1].

وفي هذه الآيات من الوعيد رسائل لكل ظالمٍ يستضعف الضعيف بالتسلط والتهميش بشتى أنواع الظلم.

(1) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين"، ج 3، ص 128، رقم (2441)؛ ومسلم، **في صحيحه**، كتاب التوبة، باب النجوى، ج 8، ص 105، رقم (7115).

المبحث الخامس:

الاستكانة بدعوى الخوف على المصلحة.

المطلب الأول: الشعور الوهمي بالخوف.

المطلب الثاني: ضعف النفس أمام سيطرة الرغبات والأهواء.

المبحث الخامس:

الاستكانة بدعوى الخوف على المصلحة.

المطلب الأول: الشعور الوهمي بالخوف.

الخوف المقصود هنا ما يكون بداعي الحفاظ على المصلحة، والمصلحة كما عرفها الإمام الغزالي رحمه الله: "هي المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهي أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم"[1].

والمصالح حسب تقسيم العلماء:" مراتب ثلاث: مرتبة عليا سموها الضروريات، ومرتبة وسطى سموها الحاجيات، ومرتبة دنيا سموها التحسينات"[2].

والذي يهمنا في هذا المطلب، المصالح العليا وهي الضروريات، وهي حفظ الدين والعقل والنسل والمال والنفس، حيث إذا فقدت واحدة من هذه الضروريات تختل الحياة.

ويبدأ الشعور الوهمي بالخوف من نفس الإنسان، حيث يفكر تفكيراً سلبياً، بأن الحياة والرزق بيد الأقوياء، فإذا "أطاعهم حافظ على حياته ودام رزقه، ومن خالفهم فقد حياته وانقطع رزقه"[3]، وهنا تقع الاستكانة للخوف على مصلحته في أمور حياته الضرورية.

فمن ذلك الذين تخلفوا عن الهجرة لأسباب وهمية كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 97]، فإن من خالط الإيمان شغاف قلبه سيتقوى إيمانه بلا شك، ولن ينتابه الشعور بالخوف والاستكانة، لأن إيمانه بالله عز وجل قويٌ بخلاف المستضعف القاعد، فإنه سيظلُ وجلاً

---

(1) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، **المستصفى**، تحقيق/ محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ-1993م، ج2، ص482.

(2) الريسوني، أحمد، **الفكر المقاصدي قواعده وفوائده**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2014م، ص24-26.

(3) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص233.

خائفاً لضعف إيمانه، لأن الإيمان يبعث في روح المؤمن العزة والكرامة بخلاف المستضعف الذي هو رهين المذلة والاستكانة، وقد قيل في المثل فاقد الشيء لا يعطيه.

ويعضد ذلك قول الشعراوي: "نجد أن الله يرغب المؤمنين في أن يكونوا مجاهدين، وأن يبذلوا الجهد لتكون كلمة الله هي العليا، فإذا ما آمن الإنسان فليس له أن يتخلف عن الصف الإيماني، لأنه ما دام قد نفع نفسه بالإيمان فلم لا ينضم إلى ركب من ينفع سواه بالإيمان؟ ويريد الله أن يعبىء كلّ من مسّ قلبه الإيمان، وحتى ولو كان موجوداً في مكان يسيطر عليه الكفار، فيدعوه لأن يتخلّص من التفاف الكفار حوله وليخرج منضماً إلى إخوانه المؤمنين، وليشيع الإيمان لسواه ويعبر عملياً عن حبه للناس مما أحبه لنفسه، ولكن هناك من قالوا: نحن ضعاف غير قادرين على الهجرة أو القتال في سبيل الله، فيأتي القرآن بقطع العذر لأي إنسان يتخلف عن ركب الجهاد في سبيل الله وفي سبيل نصرة دين الحق"[1].

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 97]، ففي هذه الآية ذكر سيد قطب: "حالة واقعة في الجزيرة العربية (في مكة وغيرها)، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقيام الدولة المسلمة، فقد كان هناك مسلمون لم يهاجروا، حبستهم أموالهم ومصالحهم، أو حبسهم إشفاقهم وخوفهم من مشاق الهجرة، وجماعة حبسهم عجزهم الحقيقي، من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطعيون حيلة للهرب ولا يجدون سبيلا"[2].

ومن خلال ما سبق يتضح أن هؤلاء القاعدين في دار الكفر استكانوا بسبب خوفهم على مصالحهم الشخصية، ومنها الأموال والضعف أمام مواجهة متاعب الهجرة وتحمل آلام الطريق، هؤلاء قبلوا الذل والهوان والاستضعاف والفتنة في الدين، فهم لم يكونوا يعانون من عجز حقيقي، بل حرصوا على أموالهم ومصالحهم.

---

(1) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج4، ص2574.

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص 743.

فعلى حسب منطوق الآية يتضح أن المسلم لا يمكن أن يستكين ويستسلم للعدو لتحقيق مصالح شخصية، فإذا آثر الاستكانة والخوف فهو إنسان ضعيف وناقص، لأنه فضل الاستكانة والخوف والمصلحة على مشاعره وشرفه الإنساني وعزته، التي ولد عليها وفطر بها، فالحياة لا طعم لها في ظل الاستعباد والذل والقهر.

وكما ذكر ابن قدامة رحمه الله:" فالناس في الهجرة على ثلاثة أضرب، أحدها: من تجب عليه وهو يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ولا يمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار، فهذا تجب عليه الهجرة وفيها وعيد شديد يدل على الوجوب"[1].

فهؤلاء إذا أرادوا الهجرة لتمكنوا من ذلك، ولبذلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم بالتضحية والهجرة ليعيشوا مكرمين منعمين في أرض لا يستعبد فيها المسلم، فأي مؤمن يعيش في أرض يستذل فيها، أو لا يستطيع إقامة شعائر دينه في أرض يكثر فيها الظلم والاستعباد، أو يعامل بغير الأحكام الإسلامية، فإن الشارع أمره بالهجرة وجوباً إلى الأرض التي يكثر فيها سواد المسلمين وتقام فيها الشعائر الدينية.

وهناك بعض الشعوب التي اعتادت على الذلة حتى أنهم يعجزون عن المقاومة حتى أصبحت منقادة لغيرها ومستضعفة، ونعتبر في ذلك من: "بني إسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام إلى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها، كيف عجزوا عن ذلك بأن قالوا: إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، أي يخرجهم الله بقدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى، ولما عزم عليهم لجوا وارتكبوا العصيان وقالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا"[2].

لماذا فعلوا ذلك؟ لأنهم عجزوا عن المقاومة ورضوا بالذل والانقياد لغيرهم، حتى اعتادوا ذلك الذل والضعف. فالإنسان لا بد له ألا يرضى بالإهانة والضعف والذل، ويجب أن يعيش وفق مبدأ الكرامة الإنسانية حتى يبدع، وفي تراث حضارتنا الكثير من الأمثلة التي

---

(1) ابن قدامة الحنبلي، أبو محمد عبد الله بن أحمد موفق الدين، **المغني**، تحقيق/عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1417هـ/1997م، ج 13، ص 151.

(2) القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ج 4، ص 107.

تدعو لحفظ الكرامة الإنسانية ويروى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان يقول للناس: "علموا أبناءكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق"[1]. حيث يقول الشاعر الشنفري فيها:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول [2].

يعني: ففي الأرض سعة لمن أراد أن ينأى بنفسه ويبعدها عن الآذى والكراهية والهوان والاستضعاف.

ومما سبق يتضح أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وشرّفه وكرّمه قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70] فإذا ما رضي الإنسان بالذل والهوان فهو كما في قوله: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [الحج: 18]، فهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات ظلموا أنفسهم حيث حرموها الخير والسعادة، فحلّ بهم الذلّ والاستضعاف والهوان بسبب ظلمهم.

(1) لامية العرب: هي لامية الشاعر الشنفري، وهي من أعظم القصائد العربية التي تكرس في النفس الكرامة، والإباء.

(2) المقدم، محمد بن أحمد بن إسماعيل، **علو الهمة**، دار القمة، دار الإيمان، مصر، 2004م، ص 138.

المطلب الثاني: ضعف النفس أمام سيطرة الرغبات والأهواء.

هنا تتحقق التبعية العمياء لرغبات الأقوياء حتى يحقق مصلحة شخصية قد تزول ولا تنفع صاحبها كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: 32، 33].

هذه الآيات تؤكد أن الإنسان حر في تفكيره وفي معتقداته، لكن هذه الحرية قد يتنازل عنها أمام ضغوط القادة والأقوياء ليحقق بعض الرغبات أو الإغراءات أو تخويف [1].

فهذه الآيات تؤكد للمسلم على أن النهي عن التبعية لما فيها من ظلمٍ واستعباد، لأن الحكام يستميلون الشعوب لما يغدقه عليهم الله من أموال وخدمات ووظائف ضماناً لملكهم وتكثيراً لسوادهم وتبريراً لمخططاتهم الهدامة التي يدسونها في ثوب الدين، وقد حادوا عن جادة الطريق، لعدم تصحيح المبادىء وتحكيم الشرع [2].

قال الشعراوي: "بل وجدتم طريقاً سهلاً، وعبادة لا تكليف فيها ولا مسؤولية، ليس فيها صوم ولا صلاة ولا زكاة ولو فكرتم وأعملتم عقولكم ما اتبعتمونا"[3].

وهذا هو منطق الشيطان يوم القيامة: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ} [إبراهيم: 22]، "إنني لا أستطيع أن أزيل صراخكم، وأنتم

(1) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص234.

(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، ط1، ص432-433.

(3) الشعراوي، **تفسير الشعراوي الخواطر**، ج12، ص7479؛ وانظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج20، ص406.

لا تستطيعون أن تزيلوا صراخي، فالمسألة انتهت، ولا ينفع أحداً ولا ينقذه إلا عمله الصالح"[1].

إن التجربة التي خاضها الأتباع المستضعفون تجربة فاشلة ومصيرها الندم والخسران في الدين، فلا بد للإنسان أن يتحرر من تسلط القيادات الضالّة والمنحرفة، وألا يستسلم لتلك الشهوات وألا يضعف أمام رغبات نفسه، لأن الله تعالى قال: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 37 - 39].

وإن الأتباع لما استجابوا للقادة في ممارسة الظلم والفساد في الأرض كانت نهايتهم البوار والهلاك: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جهنم يصلونها فبئس القرار} [إبراهيم: 28]، فالقرآن يدعونا إلى ضرورة اتباع القيادة الراشدة التي تقودنا إلى طريق الحق والصلاح.

أما أصحاب الأفكار المنحرفة والضالة من المستضعِفين، فقد ضلوا وأضلوا شعوبهم وأتباعهم بأوامرهم التي لا تعبر إلا عن مصالحهم وأطماعهم الشخصية، وتعبر عن أهوائهم، وكان الاتباع هم الضحية، وهم المنفذون وهم الشركاء في الجريمة التي مصيرها الخسران، فهي نتيجة حتمية لكل ظالم مستبد وكل تابع مستضعف.

ولقد دعتْ شريعتُنا الغراء إلى تحرير الفرد حيثُ نقلته نقلةً نوعيةً وزودته بجرعات الحرية مما جعل ميزان القوة هو شِعارُ المسلم الذي به يتمسَّكُ وإليه يدعو نابذا للاستكانة ولا يرضى بالذل والهوان فنحن أمَّةٌ أعزَّنا الله بالإسلام مهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فلا نرضى بالذل والخنوع لأعداء الله، وعليه فمن اتَّصف بالاستكانة فحتْما مصيرُه الذلُّ والصغار.

(1) الشعراوي، **تفسير الشعراوي الخواطر**، ج12، 7489.

المبحث السادس:

تجاهل السنن الكونية.

المطلب الأول: الغفلة عن تدبر سنن الله.

المطلب الثاني: قصر النظر واستعجال النتائج.

المبحث السادس:
تجاهل السنن الكونية.

المطلب الأول: الغفلة عن تدبر سنن الله.

والسنن: "هي النواميس التي تحكم الكون وفق مشيئة الله المطلقة"[1]، وذكر الفيروزبادي في تعريف السنة بأنها: "الأصل فيها الطريقة والسيرة، أَي طَرَّق طريقة حَسَنة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم طريقتة التي كان يتحراها"[2]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلّم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده"،[3] فالله سبحانه وتعالى له سنن في الأفراد، والأمم، والمسلمين، والكافرين، وقد وردت لفظة "سنة" في القرآن ثماني عشر مرة [4]، وسنن الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل، كما في قوله تعالى: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: 43].

أي وسنة الله في ذلك لا تتغير ولا تتبدل، فهي سنة نافذة وقانون مطرد لا يتخلف ولا يتغير [5]، وسنن الله سبحانه وتعالى يخضع لها جميع البشر، وما يترتب على ذلك من نصر وهزيمة، أو قوة وضعف، أو عز وذل، أو رقي وتخلف.

وأيضاً "إنه يقصد مآلها، أي المنتهى والمصير الذي تكون إليه عاقبة هؤلاء، فيصابون بعقوبة الأمم التي كذبت من قبل، ومآل الكلام واحد"[6].

"فالأمور لا تمضي في الناس جزافاً، والحياة لا تجري في الأرض عبثاً، فهناك نواميس ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للناس كي لا ينظروا للأحداث

---

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص3440.

(2) الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج3، ص267.

(3) أخرجه مسلم، **في صحيحه**، كتاب الزكاة، باب: من سن في الإسلام سنة حسنة، ج3، ص86، رقم (2314).

(4) محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص451.

(5) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص1567.

(6) الغريب، **مفهوم السنن الربانية**، ص14.

فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصلية، محصورين في فترة قصيرة من الزمان وحيز محدود من المكان"[1].

هناك ضعف في الأمة اليوم وذلك بسبب غفلتها عن كتاب الله وتدبره وتدبر آياته ومعانيه، وهجر تلاوته، وهذا أدى أن الكثير من أبناء الأمة الإسلامية لا يعرفون معنى السنن، والذي من ضمنها أن من يعرض عن منهج الله فمآله للضعف والاستضعاف.

"والسير في الأرض بعين مفتوحة وقلب يقظ، والوقوف على مصارع الغابرين وآثار الذاهبين، وإيقاظ القلوب من الغفلة التي تسدر فيها فلا تقف، وإذا وقفت لا تحس، وإذا أحست لا تعتبر، وينشأ عن هذه الغفلة غفلة أخرى عن سنن الله الثابتة وقصور عن إدراك الأحداث وربطها بقوانينها الكلية، وهي الميزة التي تميز بها الإنسان المدرك من الحيوان البهيم الذي يعيش حياته منفصلة اللحظات والحالات لا رابط لها ولا قاعدة تحكمها"[2].

قال تعالى:{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [الروم: 7-9]. هذه الآيات ذكرت لنا كيف يكون الإنسان غافلاً، ينشغل بأمر دنياه ومعاشه، وأكله وشربه وينغمس في ملذات الدنيا وشهواتها، ولا يهتم بأمور دينه ولا يعرف أحكامه، فيغفل عن معرفة الله وعن معرفة أمور دينه ويغفل عن الحساب [3].

هذه الغفلة عواقبها وخيمة كما ذكر الله في كتابه: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا، فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا} [الطلاق: 8، 9]، فمن سنن الله أن الأمم التي غفلت عن ربها وانشغلت في أمور

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص1567.

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، ج 5، ص2950.

(3) الرياشي، إيمان صالح مصطفى، **الغفلة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية -كلية أصول الدين بغزة، 1434هـ-2014م، ص58.

دنياها، وليس لهم ضمير قلب حي بذكر الله وطاعته، سوف يحاسبها الله حساباً شديداً، كما حاسب الأقوام السابقة وكانت عاقبتهم الخسران وهذا ثمار ما جنوا في الدنيا [1].

فهذه الأقوام التي ذكرها الله في القرآن الكريم، قد فنيت وضاع مجدها واندثرت، لأنها لم تأخذ بأسباب البقاء ومنها التدبر في سنن الله والاتعاظ بما حل بالأقوام السابقة بسبب الإعراض عن ذكرالله تعالى، واليوم هذا الجهل الذي تنغمس فيه الشعوب والغفلة عن هذه السنن وعدم تدبرها هو الذي سيجعل مآل هذه الأمم وخيمة كما حدث للأقوام السابقة، فتكون نهايتها إلى الضعف والاستضعاف [2].

"فنرى المسلمين اليوم يقومون بنفس الدور الذي قام به السابقون من الأمم الماضية دون أن يتعظوا، واتبعوا سننهم ونسجوا على منوالهم على الرغم من تشريح القرآن الكريم لأسباب البقاء والفناء للأمم والشعوب في آيات كثيرة"[3].

فأبناء الأمة اليوم لم ينظروا بتمعن في سنن الله في الأمم الماضية، ولم يقفوا على مصارعهم، فقست قلوبهم وأصبحوا في غفلة عن سنن الله وعن تدبرها، مما يجعل مآلهم الضعف بعد هذه الغفلة، والانغماس في شهوات الدنيا، فلا توجد قوة أقوى من قوة الله التي هي أكبر وأشد من هذه الأمم الغافلة كما في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: 44].

وإن من السنن التي تركها المستضعفون ترك السعي في الأرض، فاعتمدوا على غيرهم واستكانوا، قال تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى} [النجم: 39، 40]، فكان عليهم الأخذ بالسعي والجد في الأرض، لا الاستكانة والضعف.

والسعي "من أعظم أركان الإصلاح للبشر في أفرادهم وجماعاتهم لأنها هادمة لأساس الوثنية وهادية للبشر إلى ما تتوقف عليه سعادتهم الدنيوية والآخروية"[4].

---

(1) الرياشي، **الغفلة في ضوء القرآن الكريم**، ص66.

(2) الغريب، **مفهوم السنن الربانية**، ص27.

(3) الغريب، المرجع السابق، ص27.

(4) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج6، ص311.

فإن سعي الإنسان الإيجابي وامتثاله لأوامر الباري يضمن للإنسان حياةً طيبةً في الدارين، قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: 19]، فمن لازم النية الصالحة والعمل بمقتضاها مع الإيمان الصحيح فإن ربهم " يعطيهم ما يطلبون في الدنيا من ذلك بدون كسبٍ ولا سعي إليه من طريق الأسباب التي جرت بها سنته تعالى في خلقه، وليحملوا عنهم أوزارهم حتى لا يعاقبهم تعالى بها أو يحملوا الباري على رفعها عنهم وترك عقابهم عليها وعلى إعطائهم نعيم الآخرة وإنقاذهم من عذابها أي إبطال سنته وتبديلها في أمثالها أو تحويلها عنهم إلى غيرهم"[1]، قال تعالى: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: 43].

وعليه فإن عدم الاتعاظ والاعتبار بسنن الله تعالى الكونية التي نشاهدها يومياً، يجعل النفس تميل للاستكانة والضعف، لهوان تفكيرها في الأسرار الكونية التي حبانا الله إياها وأخبرنا عن عاقبتها في القرآن الكريم، كقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة: 164]، وقال أيضاً: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: 17] .

(1) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج8، ص217.

المطلب الثاني: قصر النظر واستعجال النتائج.

من سنن الله سبحانه وتعالى الكونية التدرج، وهذا التتدرج لحكمة لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه وتعالى لذلك يقتضي منا عدم الاستعجال في النصر، لأن العزة والتمكين لا يأتيان إلا بعد التمحيص والابتلاء لقوله صلى الله عليه وسلم –لما طلبوا النصر– قال: "إنكم تستعجلون"، وقال تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: 7]، فإن النعيم لا يدرك بالنعيم لذلك من اتبع رغبات نفسه في الملذات وأنواع الترف فإن ذلك سيضعف عزيمته ويكسر قوتها فيبقى ضعيفاً أمام السلطان لأنه يطمع فيما عنده من ملكٍ وجاه.

"لكن كل أمر في هذه الحياة يجب أن يكون بالتأني وعدم العجلة"[1]فإن السماوات والأرض خلقت على مراحل.

فالاستعجال يكون بسبب نسيان الغاية التي يسعى الإنسان من أجلها، فالإنسان خلق للاستخلاف ولتحقيق مرضاة الله، لأنه يريد لقاء الله تعالى فعليه الثبات على المنهج[2] وعدم الإفراط والتفريط: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110] فقد "نزلت هذا الآية فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه فعن مصعب عن أبيه قال ظن أبي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعائفها ودعوتهم وإخلاصهم"[3].

ومن أسباب وجود الاستعجال أيضاً نسيان سنة الله في العصاة والمكذبين، وأن الله تبارك وتعالى يعطي المكذبين مهلة ويمهلهم ولا يهملهم،"فَيُؤَخِّرُ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ إِلَى حَدٍّ مَعْلُومٍ إِمْهَالًا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ ضَلَالِهِمْ وَيَتَدَبَّرُونَ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص274.

(2) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج9، ص4600.

(3) أخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب، **المجتبى من السنن (السنن الصغرى)**، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 2، 1406هـ-1986م، كتاب الجهاد، باب: الاستنصار بالضعيف، ج 6، ص 45ن رقم (3178)، وهو عند البخاري بلفظ" هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم".

فَلَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ،"[1] فمن فضل الله ورحمته وكرمه أنه يمهل الكفار ولا يعجل لهم العقوبة، ليترك لهم الفرصة للإيمان والتوبة، قال ابن مسعود: "وقرأ هذه الآية: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ۞ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} [الكهف: 58، 59]فلو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين، لأصاب العذاب جميع الخلائق حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء، والنبات من الأرض فماتت الدواب ولكن الله يأخذ بالعفو والفضل"[2] كما في الآية السابقة.

فتوجب الآية التريث وعدم الاستعجال في الأمور كلها، لأن الاستعجال لا يقدم ولا يؤخر، وكل ذلك لحكمة بالغة، ليتوخى المستضعف حذره من الظالم والمستكبر حتى لا يكون لقمةً سائغة بين يديه.

كما إنَّ تجاهُلَ الاعتبار بِسُنَنِ الله تعالى الكونية وما أوْدعه من سرٍّ عجيبٍ في هذا الفضاء الواسع، لدليلٌ قاطع على ضعف التفكير وعدم الاتعاظ، حيث أشار القرآن الكريم إلى ضرورة التفكير في خلق السماوات والأرض، ولنا أن نعتبر بتاريخ الأمم الغابرة والحالية، وما أصيبت به من هلاك ودمار، فالعاقلُ من اتعظ بغيره، ومن لم يعتبر بتلك العبر التاريخية المسطرة في القرآن لهو جديرٌ بأن يحِّل به غضب الجبارِ.

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج15، ص356.

(2) وهبة الزحيلي، **تفسير المنير**، ج14، ص162.

المبحث السابع:

التقليد الأعمى.

المطلب الأول: خطر آثار التقليد الأعمى.

المطلب الثاني: التقليد الأعمى وتقليد الأمور السيئة على الأمة.

المبحث السابع:
التقليد الأعمى.

المطلب الأول: خطر آثار التقليد الأعمى.

التقليد نوعان:

1 – التلقيد المشروع: "حيث يكون في حق العامي الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية ويعجز عن معرفتها، ولا يمكنه فهم أدلتها ولكن له طلب الدليل الشرعي من المفتي، لأن المسلم من حقه أن يستوثق من أمر دينه"[1].

" والجاهل المقلّد الذي لا بصيرة له فهذا لا يكفر ولا يفسق، ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلّم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين"[2]. قال تعالى: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} [النساء: 98].

2- التقليد المذموم أو التقليد الأعمى: "عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه، من غير نظر وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه "[3].

وهكذا فإذا قلد الإنسان غيره في المعتقد أو العبادة دون علمٍ شرعي يستند إلى دليلٍ مقنعٍ فإنه بذلك يكون مقلداً تقليداً أعمى لأن تقليده نابعٌ عن جهل، ولذا حذرنا رسولنا الكريم من هذا التقليد، فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) **الموسوعة العقدية**، نواقض الإيمان، dorar.net/aqadia، استرجع بتاريخ 2018/10/10م.

(2) عبد الحميد، عبد الله الأثري، **الإيمان حقيقته خوارمه ونواقضه عند أهل السنة**، دار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1424هـ-2003م، ص292.

(3) الجرجاني، **التعريفات**، ص64.

قال:" لتتبعن سنة من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم" قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"رواه البخاري ومسلم [1].

ومن الآثار السلبية للتقليد الأعمى تضييع شخصية المسلم ومعتقداته، بحيث يتوقف عن الإبداع والإنتاج العلمي، وكذلك يسبب للأمة سقوط حضارتها وهويتها فالمقلّد الجاهل، كإسناد الضعيف للضعيف يؤدي إلى إسقاطهما، كما في قوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [البقرة: 171].

ويمكننا الاستشهاد بقول الإمام ابن عبد البر في قصيدته في ذم التقليد:

يا سائلي عن موضع التقليـــد خذ عني الجواب بفهم لب حاضر

واصغ إلى قولي وخذ بنصيحتي واحفظ علي بوادري ونـــــوادري

لا فرق بين مقلد وبهيمـــــة تنقاد من جنادل ودعائـــــر [2].

فمن أسباب عدم إعمال العقل هو "اتباع العوائد وإن فسدت، وإن كانت مخالفة للحق، واتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، وأشباه ذلك، وهو التقليد المذموم، فإن الله تعالى ذم ذلك في كتابه [3]" في قوله تعالى: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [الزخرف: 24]

فالتقليد نذير شؤم على صاحبه، فهو يقود صاحبه للضعف، وتصبح أفكاره وإرادته تبعاً لغيره، لا يكون صاحب قرار، فشخصيته تذاب قي شخصيات الآخرين، وعليه فالمجتمع لبنة واحدة ولا يقبل التفكك، بحيث ينفرد كل فرد بتقليد غيره في أمورٍ باطلة فإن هذا يقود الأمة إلى الذل والاستضعاف.

---

(1) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم"، ج 9، ص 103، رقم (7320)؛ ومسلم، **في صحيحه**، كتاب العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، ج 8، ص 57، رقم (6875).

(2) الفلاني المالكي، صالح بن نوح، **إيقاظ همم أولي الأبصار بسيد المهاجرين والأنصار**، دار المعرفة، بيروت، 1425هـ-2005م، ص 41.

(3) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الاعتصام**، تحقيق/سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ-1992م، ج1، ص 688.

قال تعالى: {فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [إبراهيم: 21]. ففي هذه الآية تبعية للكبراء وتقليد لهم، كما قال سيد قطب: "والضعفاء هم الضعفاء، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه؛ وجعلوا أنفسهم تبعا للمستكبرين والطغاة"(1).

هذا التقليد هو تقليد الجاهل للجاهل وهو لا يستند لقاعدة صحيحة تبعا لأصول راسخة ويقينة، اتبعوا السادة والكبراء وقلدوهم تقليدا أعمى، وهم على منطق غير صحيح.

لذلك يستحقون قول الله تبارك وتعالى فيهم: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب: 66 - 68].

فالإنسان عندما يصبح ضعيفا لا رأي له يكون سهل الإنقياد، لذلك يستضعف في شخصيته ورأيه وقرارته، وعندما يتبع السادة والكبراء يستحق هذا العذاب الإلهي، كما قال الشوكاني: "والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا، ويقتدون بهم، وفي هذا زجر عن التقليد شديد، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا، والتحذير منه، والتنفير عنه"(2).

فرفض الإسلام التقليد والتبعية رفضا قاطعا، لأن فيها امتهان لكرامة الإنسان، حيث عبر القرآن الكريم بلفظ "استضعفوا" بصيغة المبني للمجهول في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: 33]، قال الزمخشري: "وفي التعبير بصيغة المبني للمجهول دلالة على شدة مهانتهم لأنفسهم وعدم تقديرهم لكرامتها، فأذلوها مقلدين الذين استكبروا، وفي المقابل كان

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص 2439.

(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة بدون تاريخ، ج4، ص 306.

التعبير عن المستكبرين بصيغة المبني للمعلوم، لإظهار تفننهم في قيادة المستضعفين بالليل والنهار"[1].

فهم ندموا لما رأوا العذاب، والجزاء هنا من جنس أعمالهم، كذلك عملوا وكانت أعمالهم تنفيذاً لغيرهم في التبعية العمياء وفي ممارسة الضلالات، لذلك كان الجزاء عملياً في قوله: {هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ: 33].

ولذلك يجب علينا ألا نتبع غيرنا تبعية عمياء، وألا نقلد غيرنا بدون بصيرة وعقل حتى لا نصبح كما قال تعالى: {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} [الأعراف: 179]، فلا نكون صماً عن الحق لا نسمعه، لأن ذلك يؤدي بنا ألا ندرك الأمور على حقيقتها، ولا نفرق بين الحق والباطل والخير والشر، أما إذا كان التقليد في الحق فهذا لا مانع منه عقلاً ولا شرعاً.

(1) الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص 585.

المطلب الثاني: التقليد الأعمى وتقليد الأمور السيئة على الأمة.

تقليد الأعداء يهدم البناء الذي بناه الإسلام من داخله، وبذلك يتم تعطيل أهداف الرسالة المحمدية، فالرسالة لا يمكن أن تلعب دورها الفعلي وتحقق جل أهدافها إلا بالبناء الجيد للمسلم [1].

إن للتقليد الأعمى آثاراً سلبيةً على حضارتنا الاسلامية خلال حقباتها المتنوعة، وعلى الحضارات الأخرى، وهذا أدى إلى تفكك الدول وهلاك الشعوب بسبب التخبط والجهل الذي ساد كبراءهم وسادتهم، وكذلك لعدم اتباع الرسل قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15]، فالرسل هم حجة الله في الأرض، فإن الله لا يعذب أحداً حتى تقوم عليه الحجة، وفي هذا زجرٌ للمستضعفين الذين قلدوا غيرهم في الضلال واتباع الهوى.

فالتقليد دمر حضارات وأخر دولاً عن تقدمها، وإن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حذرنا من تقليد النصارى، وحديث عدي بن حاتم خير شاهد على ذلك قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب، فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله)، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس يحرّمون ما أحلَّ الله فتحرّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم!" [2].

وعليه فإن المسلمين اليوم وللأسف يقلدون الغرب في أخلاقهم وعاداتهم وسلوكياتهم ونحن في غنى عنهم إذا اتبعنا تعاليم ديننا وفهمناها فهماً صحيحاً.

---

(1) بنخليفة، المنجي، **الاختلاف بين التقليد والاتباع**، موقع ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net، استرجع بتاريخ 5/12/ 2018م.

(2) أخرجه الترمذي **في سننه**، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، ج 5، ص 278، رقم (3095).

فقلدنا غيرنا في سلوكياتهم السيئة وأخلاقهم، فلم ننتفع بأفضل ما عندهم حتى أصبحنا أمة مستهلكة وغير منتجة، إذ المهزوم يحب دائماً تقليد المنتصر كما قال ابن خلدون [1].

وإذا عدنا قليلاً إلى عهد ازدهار الحضارة الإسلامية مثلاً فقد كان المسلمون في الأندلس لهم الهيبة والقوة والمكانة لذا كان الغرب في حينها يقلدهم، وهذا بخلاف واقعنا الحالي في تقليد الغرب في شكلياتهم ومظاهرهم، وما ذلك إلا دليل على الهزيمة النفسية، وذوبان الشخصية، وفقدان الذات [2]، يقول الدكتور عبد المنعم النمر: "ويصحب هذا كله عامل نفساني قوي، كثيرا ما وجهنا في حياتنا توجيها قويا، وأعني به عامل التقليد وحب المحاكاة للأقوياء، مع عدم المبالاة بتقاليدنا وآرائنا الدينية والوطنية، وهذا العامل يسيطر على حياة الأمم الضعيفة المغلوبة على أمرها، كما يسيطر على حياة الأفراد الضعفاء سيطرة تجعلهم يفنون في شخصية الأقوياء من حولهم"[3].

نجد أنه يتعرَّضُ المجتمع المسلم اليوم إلى تغيرات متسارعة من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية نتيجة للثورة المعلوماتية والانفتاح على العالم الخارجي فالتقليد الأعمى يدل على اضطراب في شخصية المقلد وفقدان لإرادتها وانعدام في كيانها حيثُ سلك بعض المسلمين من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص نهج الغرب، وأهل البدع والأهواء والخرافات، فعواقب التقليد العشوائي ستعْصِف بالأمة أفرادا وجماعات بسبب فشوِّ الجهل وعدم أخذ العلم من العلماء الربانيين، غيرِ مكترثين بمذهب أهل الحلِّ والعقد من المسلمين كلٌّ في تخصصه، وبناء عليه فمن اعتمد على حدسه والاعتداد برأيه دون علْمٍ شرعيٍّ عنده فيه من الله برهان فإنَّ عاقبته وخيمة وسيجني عليه تقليده وجهله بما لا تُحمد عقباه في الدارين.

---

(1) قال ابن خلدون: "أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده" ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1408هـ – 1988م، ج1، ص184.

(2) الدويش، إبراهيم، **التشبه والتقليد الأعمى يقتلان الإبداع والابتكار والرجولة**، مقال، ..http://www.alhejaz.net

(3) النمر، عبد المنعم، **الإسلام وشيوعية**، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1396هـ/1976م، ص 181.

فالإسلام بنى شخصيات هذه الأمة فلا ينبغي لها أن تكون تابعة مقلدة للأعداء، ولا موالية لها بحيث تجعلها مثلها الأعلى، لأن الإسلام جاء ليجعل المسلمين متفوقين في جميع المجالات ولا يمكن أن نسمح لغيرنا باستضعافنا ونهب خيراتنا.

وبهذا نختم الكلام عن الفصل الأول وننتقل إلى الفصل الثاني وهو سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم..

الفصل الثالث:

سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم.

المبحث الأول: التمسك بالعقيدة واتباع شرع الله.

المبحث الثاني: الحرية والحكم الرشيد.

المبحث الثالث: الاتحاد وجمع الكلمة.

المبحث الرابع: ترك الوهن والضعف والاستكانة.

المبحث الخامس: الهجرة.

المبحث السادس: الجهاد في سبيل الله.

المبحث السابع: تفعيل الحوار مع الآخر.

المبحث الثامن: إعداد جيل مستقيم في الأمة الإسلامية.

المبحث التاسع: نشر ثقافة الاستبشار والتمكين في الأرض.

الفصل الثالث:

سبل علاج الاستضعاف في القرآن الكريم.

المبحث الأول:

التمسك بالعقيدة واتباع شرع الله.

المطلب الأول: التركيز على العلم بالعقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: السلطة التي تحمي العقيدة.

المبحث الأول:
التمسك بالعقيدة واتباع شرع الله.

المطلب الأول: التركيز على العلم بالعقيدة الصحيحة.

في ظلّ هذه الظروف التي تمر بها أمتنا الإسلامية من كثرة انتشار الطوائف الضالة والمنحرفة عقائدياً لأسبابٍ كثيرة، منبعها الجهل والتطرف والانفتاح الزائد على حضارات الغرب، وهذا يقتضي تحرّك الأمة الإسلامية إلى تعريف المجتمع بالعقيدة الصالحة المستوحاة من الوحي.

وهذا يدعو الفرد المسلم الطموح الغيور على عقيدته ودينه، أن يتوخى الحذر من العقائد الضالة فيعمل على تصحيح العقيدة السليمة وبذلك يتحقق الهدف المنشود وهو الاستخلاف في الأرض.

التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والاعتصام بهما هو أمر من الله عز وجل، قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103].

وحتى تعيش الأمة في منأى عن الاستضعاف والذل والهوان، فعليها بالتمسك والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، فالتمسك بالعقيدة الصحيحة يعصم الأمة وينقذها ويحميها من الفتن، ومن الفرقة والاختصام، ويدفعها إلى الالتجاء والتحاكم إلى شرع الله تعالى، لإسعاد الأمة.

وقد ذكر المغراوي أن: "هذه العقيدة مرتبطة ارتباطاً لا انفكاك له منذ بداية النبوة وإلى أن تقوم الساعة، فالذي يرجع إلى الكتب السماوية كلها، يجدها كلها على منهج واحد في باب العقيدة، ولا تختلف، فكلها تصب في مصب واحد، وكلها تجري من منبع واحد، وبنهر واحد، فكلهم في دعوتهم إلى التوحيد كانت كلمتهم كلمة واحدة، فلهذا جميع المواقف، وجميع المناظرات، وجميع ما وقع من الأنبياء مع أممهم في الجدال تجده كله كلاماً واحدا، وكله على منهاج واحد، لا يختلف هذا عن هذا، فالذي يستعرض مواقف الأنبياء ابتداءً من نوح الذي بدأت الخصومة من عهده وإلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يجد

هذا الأمر، وحدة متكاملة، لا يختلف نبي عن نبي أبداً في كل الأصول، وفي كل العروض، وفي كل المناهج"[1].

والاعتصام بالعقيدة واتباع شرع الله هو سببٌ للحياة الطيبة والعيشة السعيدة والهنيئة في الدارين لقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: 24]، وفي الطبري: "للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذّل، وقوّاكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوّكم بعد القهر" [2]، ومن يترك شرع الله يذل ويستضعف ويكون عرضة للهوان، فهو يضل وينحرف ويزيغ.

ففي الفترة المكية كان نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في عصر استضعاف، لكنه جعل همه الإنسان وبدأ بتغيير الأفكار والعقائد والتصورات، وكل ذلك استغرق منه ثلاثة عشر عاماً، حتى يكوّن جيلاً يؤمن بالله إيماناً عميقاً[3].

والقضية الأساسية والمحورية التي يجب التركيز عليها في تراث عقيدتنا هو قول "لا إله إلا الله" والعمل بمقتضاها، لأنها منهاج حياتنا فيكون مؤمناً في فكره ومعتقداته وأقواله، فالبناء مطلوب خاصة للإنسان حتى تستنهض الأمة بأكملها[4].

فإذا آمن الإنسان بالله حقاً، فإنه يرفض الذل والاستضعاف، يقول سيد قطب: "إن هذا الدين هو إعلانٌ عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد، ومن العبودية لهواه أيضاً وذلك بإعلان ألوهية الله وحده سبحانه وربوبيته للعالمين، إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها الثورة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها"[5].

إن الإخلاص في القول والعمل والإقبال على الله في جميع أمور الحياة يضمن للأمة مجدها وعزتها، وإذا أعددنا الإنسان معنوياً، عقدياً وفكرياً فلا بد لنا من الإعداد المادي

---

(1) المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، جهاد السلف في حفظ العقيدة، مقال من موقع الألوكة، www.alukah.net/sharia/0/32992، استرجع بتاريخ 2018/6/26م.

(2) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج13، ص465.

(3) رباع، كامل، **فقه الاستضعاف في ضوء السيرة النبوية في العهد المكي**، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ط 1، 1438هـ – 2017م، ص74.

(4) رباع، المرجع السابق، ص 74.

(5) قطب، **معالم في الطريق**، ص57-66.

أيضاً حتى نستطيع أن ننهض بالأمة فعلياً من أي ذل واستضعاف، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60].

"أي أعدوا لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ما استطعتم من قوة، أي كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم"(1).

وهذا الإعداد يكون على مراحل وخطوات كما فعل نبينا علينا أفضل الصلاة وأتم التسليم في جميع تشريعاته، فالمسلم لا يستطيع أن يتفوق على عدوه إلا بالإعداد الكامل، قال تعالى: {وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود: 52].

وهكذا فلا يمكننا النهوض بالأمة وتخليصها من الاستضعاف إلا بعقيدة راسخة قوية، لذا كانت المرحلة المكية مرحلة بناء للعقيدة، وهذا لا يعني التركيز عليها وحدها، بل لا بد أن يتبعها العمل في مختلف المجالات، فإن الإيمان قول وعمل(2).

إن المستضعف إذا ترسخت العقيدة الصحيحة في قلبه فإنه لا يخاف من تهديدات المستكبر، بل ينقلب عليه ويتحداه لأنه رأى الحقيقة بعينها وهذا ما جاء في قصة سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام، قال تعالى: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه: 72]، أي لن نقدمك على البراهين والأدلة القاطعة الدالة على صحة عقيدة موسى، وأقسموا بالذي فطرهم بعد ما كانوا يطلبون من فرعون أجراً إن هم انتصروا على موسى ووعدهم بذلك، لكن لما انكشفت الحقيقة قالوا اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا.

فيجب على الأمة الإسلامية أن تنهض من سباتها العميق وأن تعمل على إعداد وتخريج جيلٍ قويٍ متمسكٍ بالعقيدة الصحيحة وقادر على حمايتها من كلِ ظالمٍ مستبد يستضعف شعبه وقومه وبذلك يعمُّ الأمة الرخاء والازدهار والسِّلم، وإن لم تقم الأمة بهذه المهمة الصعبة

---

(1) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص324.

(2)ابن أبي العز، علي بن محمد، الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق/ عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ، ص474؛ وانظر المشوخي، زياد، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، ص135.

فإن الله تعالى قادرٌ على استبدالها بقومٍ أفضل منا، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38].

المطلب الثاني: السلطة التي تحمي العقيدة.

لا بد لنا حتى نقوّم ضعف العقيدة بين الناس، ونعالجها، أن تتضافر السلطة مع حماية العقيدة، السلطة التي تدافع عنها، وتنفذ الحق وتقمع الباطل، السلطة التي تحمي العقيدة من عبث العابثين ومكر الماكرين، حتى يعيد الله لهذه الأمة عزها ومكانتها وقوتها [1]، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

فالعلم والسلطة إذا كانا معاً ترتفع راية الدين وتصبح في عزٍ وأمانٍ، فقد قيض الله سبحانه وتعالى للأمة الإسلامية في كلِّ عصر من العصور علماء ودعاة مخلصين ومصلحين قادرين على تبليغ هذا الدين ونشر العقيدة الصحيحة على أكمل وجه.

ولذلك يتطلب من الجميع تظافر الجهود بإنشاء منابر إسلامية، وقنواتٍ فضائية لبثِّ العقيدة الصحيحة، ومن خلال تلك الوسائل نستطيع أن نقضي على ما يثار ضد عقيدتنا من شبهاتٍ من قبل الغرب وأتباعهم، وبتلك الجهود تتمكن الأمة من إعادة مجدها ورفعتا من بعد ما أصيبت بالذل والاستضعاف، فلا بد للمصلحين أن يتبوؤا مواقعهم في دفع أهل الباطل لتنجو البشرية من شرهم وكيدهم، وهكذا الحياة سجال بين نوعين من البشر، أهل الحق وأهل الباطل، والله سبحانه وتعالى لم يترك عباده هملاً بل أقام عليهم الحجة بمبعث الأنبياء عليهم السلام، الذين بينوا الحق وأكدوه فكانوا حجة على خلقه لذلك قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165]" [2].

وعلى السلطة أن تحمي العقيدة بكل ما أوتيت من وسائل كنشر العلم وتقوية الجانب العسكري، إذا خشيت الأمة بطش العدو وكيده، لأن سلاح المؤمن إيمانه ولنا في رسولنا الكريم أسوة حسنة، كما في غزوة بدرٍ فإن قلة العدد والعدة مع قوة الإيمان تغلب كل قوةٍ، قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: 26]، وقال تعالى:

---

(1) الفوزان، **مظاهر ضعف العقيدة**، ص 26 و27.

(2) المجالي، محمد، **نحو جيل قرآني**، المكتبة الوطنية، عمان – الأردن، ط1، 2008م، ص332.

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: 123]، ومطلوب أيضاً من الأمة الإعداد في الجانب العسكري قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60] وكلمة قوة منكّرة هنا وهي تفيد العموم، فإعداد القوة العقلية والبدنية مطلبٌ شرعيٌ لا غنى للمسلم عنه، وأعدوا لهم أنواع القوة العقلية والبدنية والعسكرية، حتى يعرف المستضعفون كيف يحمون أنفسهم ويحمون عقيدتهم ويكون السلطان قد تكفل لهؤلاء المستضعفين بتوفير كل أنواع القوة، وحتى يتمكن من ذلك نحتاج تحقيق وإعداد القوة الداخلية والخارجية التي يحتاجها المدافعون عن كيان عقيدتهم، للقضاء على الاستضعاف وتحقيق الاستخلاف في الأرض [1].

(1) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص298-299.

المبحث الثاني:

دور الحرية في تحقيق الشهود الحضاري.

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في بيان الحرية وغرسها في نفس الإنسان.

المطلب الثاني: أثر الحرية في النهضة والشهود الحضاري للأمة.

المطلب الثالث: قطر الحرية والشهود الحضاري رؤية 2030م.

المبحث الثاني:
دور الحرية في تحقيق الشهود الحضاري

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في بيان الحرية وغرسها في نفس الإنسان.

الحرية هي:" الخروج عن الرق، وعند أرباب الحقيقة هي الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار وهي أعلى مراتب القرب، وحرية العامة: هي الخروج من رق الشهوات، وحرية الخاصة: هي الخروج عن رق المرادات والرسوم والآثار لفناء إرادتهم في إرادة الحق وانمحاقهم في تجلي نور الأنوار"[1].

وهي"ما يميز الإنسان عن غيره ويتمكن بها من ممارسة أفعاله وأقواله وتصرفاته بإرادة واختيار من غير قسر ولا إكراه ولكن ضمن حدود معينة"[2].

إن الخلافة الإسلامية الراشدة هي التي تبنى على منهج قويم يتسم بالعدل وإحقاق الحق وبذل المعروف ونشر الدين، ويشترط في الحاكم أن يكون تقيّاً ديّناً عارفاً بأحوال رعيته وظروفهم المادية والمعنوية، وبالمقابل يجب على الرعية طاعته في المعروف والالتفاف حوله لإخراج الأمة من ربقة الاستضعاف والهوان إلى دائرة العزّ التمكين.

رسم لنا القرآن الكريم منهج حياةٍ متكامل صالح لكل زمان ومكان، لأن تعاليمه ربانية وتغرس في نفوس الأمة الشهامة والنبل، "فالحرية في القرآن والسنة، تمثل وثيقة جوهرها وروحها تحرير الإنسان بالمعنى الكامل والواسع والعميق للكلمة، فعلى المستوى الفكري والعقائدي هاجم القرآن الكريم عقائد الكهانة"[3] في قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا} [التوبة: 31]، كما

---

(1) القاضي، عبد النبي، بن عبد الرسول نكري، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء)**، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ،2000م، ج2، ص24.

(2) الزحيلي، وهبة، **حق الحرية في العالم**، دار الفكر المعاصر، ط1، 2014م، ص39؛ وانظر حمدان، إياد، **مظاهر الحرية الشخصية والعامة في الإسلام**، دراسات دعوية، العدد 77، يناير2009م.

(3) شمام، بشير عبد العالي، **مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية رؤية في الموازنات بين الحريات الشخصية والمصالح العامة**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 12، شعبان 1429 هـ- أغسطس 2008م، ص11.

رفض القرآن الكريم صراحةً أن يكره الإنسان على اعتقاد ما، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256].

ومن أهم القضايا التي ضمنها القرآن الكريم للناس حريتهم وحقهم في التعبير، لأن الإسلام دين العدل بحيث يعطي للإنسان قيمته، لأن الله كرّمه بهذا الدين فيصبح لديه الوعي الكامل لمكانته، وقد نوّه سيد قطب إلى ذلك بقوله: "إن الإسلام يوقظ الإنسان ليشعر بيقمته، فيصبح لديه الوعي الكامل بمكانته، والإسلام يخاطب العقل أولاً، ويخاطب الإرادة بعد ذلك، يخاطب العقل ليعرف آفاقه وحدوده وينفتح للتلقي من معالم العطاء الإلهي، ويخاطب الإرادة لتوجه عمل الإنسان لتحقيق هدف وجوده، وتحرره من عبودية ما سوى المعبود الحق"[1].

وبعث الله سبحانه وتعالى الرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن العبودية إلى الحرية، ومن الخضوع لغير الله إلى عبادة الله تعالى والتذللّ والخضوع له سبحانه، لذلك كرّس الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جهودهم لتعميق معنى الحرية في نفوس البشر حتى لا يكونوا عبيداً إلا لله وحده [2]، وقد ختم الله تعالى الأنبياء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليتمم للأمة مكارم الأخلاق وفق منهج القرآن الكريم.

وعندما استجاب المسلمون لنداء ربهم، وأشاعوا الحرية فيما بينهم في بداية عهد النبوة، كان العرب وقتها: "أسعدَ الأمم بحظوظ الحرية المتاحة لهم، بينما كان الروم والفرس جماهيراً من العبيد الذين تعودوا الانحناء للحكام والسجود للملوك وضياع الشخصية في ظل سلطات عمياء وأوامر ليس عليها اعتراض، ووسط هذا الجو شقت رسالة الإسلام طريقها صعدا لم تثنها المعوقات الطبيعية التي لا بد منها، ومن الفطر القوية لأولئك العرب الأحرار كانت الانطلاقة التي عصفت بالحكومات المستبدة وبدلت الأرض غير الأرض، والناس غير

(1) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص309.

(2) الغريب، رمضان خميس زكي، **الحرية وأثرها في الشهود الحضاري للأمة الإسلامية في المنظور القرآني**، دار المقاصد، القاهرة – مصر، ط 1، 1436هـ – 2015م، ص83.

الناس، ذلك أنه يستحيل أن يتكون في ظل الاستبداد جيل محترم، أو معدن صلب، أو خلق مكافح"[1].

فالفرد لا يجب أن يشعر أنه أقل من غيره، ولا غيره أفضل منه، كائنا ما كانت مكانته، لأن ذلك الشعور يعني الانتقاص من حرية التعبير عند من يشعر بالدون وتجاوز حريات الغير ومصادرتها عند من يشعر بالرفعة [2].

وإن رسولنا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان أحسن الناس خلقاً لذلك مدحه الباري في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، ووصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: "كان خلقه القرآن"[3] وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[4]، فكان يلاطف الناس ويخالطهم ويفرح بأفراحهم ويحزن لأحزانهم، فكان ينزّل نفسه منزلة أحدهم، ولا يقبل أن يتميّز عليهم بمالٍ أو نفوذ.

وسار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث كان أول ما أعلنه الخليفة الراشد أبو بكر الصديق، في خطبته المشهورة أما بعد: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ ضَعُفْتُ فَقَوِّمُونِي، وَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، الضَّعِيفُ فِيكُمُ الْقَوِيُّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالْفَقْرِ، وَلَا ظَهَرَتْ – أَوْ قَالَ: شَاعَتِ – الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمُ الْبَلَاءُ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ»[5].

---

(1) الغزالي، محمد السقا، **قذائف الحق**، دار القلم، دمشق، ط 2، 1418هـ، ج1، ص236. وانظر صوافطة، **الطغيان دراسة قرآنية**، ص195.

(2) شمام، بشير عبدالعالي، **مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية**، ص 12.

(3) أخرجه أحمد، في **مسنده**، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنه، ج 8، ص 3050، رقم (25240).

(4) أخرجه البيهقي، في **السنن الكبرى**، كتاب الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ج 10، ص 323، رقم 20782.

(5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية**، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1408هـ – 1988م، ج5، ص 269، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

وإن الإسلام بنى دعوته على التحلي بالأخلاق الحسنة وترك المراء والجدال والتلطف للناس وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أشارت إليه الآية: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]، مع مراعاة ترك المراء والجدال طمعاً فيما أعد الله تعالى لمن ترك الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِنْ كَانَ مَازِحاً، وبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقه»[1].

وهذا أسلوبٌ ناجحٌ إذا استخدمه الداعية لإنجاحِ دعوته بنقلِ الأمة من الاستضعاف والاستعباد والمهانة إلى المجدِ والتمكينِ لإقامة راية الدين وفق منهاج النبوّة المحمدية.

وإن القرآن الكريم ربى أتباعه على الحرية، وبنى في نفوسهم الرغبة في أن يكونوا أحرارا أباة، لا يخضعون لظلم، ولا يأبهون بالطغاة، والمستضعِفين لهم، كما خرج سحرة فرعون من ربقة الاستعباد إلى الحرية باقتناعهم بدين الله تعالى وقبولهم بشريعة موسى عليه السلام كما ذكرنا سابقاً، وهذا النموذج الأمثل لحرية المسلم الواردة في القرآن الكريم، بسبب اقتناعه بذلك الوحي الإلهي الذي هو سبيل للأمة للتخلص من الاستضعاف وربقة الظلم والاستضعاف [2].

(1) أبو داود، في **السنن**، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ج 4، ص 253، رقم (4800).

(2) الغريب، **الحرية وأثرها في الشهود الحضاري للأمة المسلمة في المنظور القرآني**، ص61.

المطلب الثاني: أثر الحرية في النهضة والشهود الحضاري للأمة.

إن الله خلق الإنسان واستخلفه في الأرض واستعمره فيها ومنحه الصفات التي تؤهله لتحقيق هذه الخلافة، وكذلك حباه بالإسلام الرسالة الخالدة التي كرّمت الإنسان وجعلته أنموذجاً قادراً على الإبداع والشهود الحضاري بمفهومه الواسع، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 29]، للاعتبار والاتعاظ والاستمتاع [1].

والإسلام حرص على حرية التعبير وحرية الرأي في اختيار الحاكم وذلك بنظام الشورى المنضبط بضوابط الشرع المعروف في فقه الحكام، حيث قال في ذلك رشيد رضا: "قاعدتا الحرية والاستقلال، هما الأساس الذي قام عليه بناء الإسلام، وإن علماء الشعوب الشمالية التي سادت في هذا العصر، يعترفون بأنهم أخذوا هاتين المزيتيين (استقلال الفكر والإدارة)، عنا وأقاموا بناء مدنيتهم عليهما"[2].

قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى: 38]، إن الإسلام قرر أهمية الشورى وما لها من مكانةٍ عظيمة لضرورة توحيد الأمة في سبيل نهضتها، وشهودها الحضاري، وبذلك تحصل الأمة على واقعٍ حضاريٍ ملموس من خلال تملك إرادة حرية القرار والتعبير ويصبح لديها بالتالي إرادة تملك من خلالها القرار [3].

ومن المعلوم أن هناك مملكة ذكرت في القرآن، كانت قائمة على مبدأين حرية الرأي والمشورة، تمكنت من ضمان الرقي والازدهار، لأنها وقفت على سنن الملوك وطرائقهم مع الممالك إذا دخلوها: {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل: 34]، فهم بحسب منطوق هذه الآية الكريمه، يستعبدون الأحرار ويستضعفونهم ويذلونهم، ويشيعون فيهم الفساد والدمار

(1) الغريب، **الحرية وأثرها في الشهود الحضاري**، ص74.

(2) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج5، ص73-74؛ وانظر الغريب، **الحرية وأثرها في الشهود الحضاري**، ص70.

(3) الغريب، **الحرية وأثرها في الشهود الحضاري**، ص100.

وينتهكون الحرمات، وبذلك يصبح الرؤساء والملوك أذلة صاغرين مستضعفين عند هؤلاء المفسدين [1].

والحر يسعى لحقه ومصلحته المشروعه دون أن يحول بينه وبينها ثمة حائل، طالما أن سعيه نحو استيفاء حقه ليس عدوانا على حق الغير ومصلحته المشروعة.

فإذا أردنا أن نكون مجتمع الأحرار فعلينا أن نتحمل الأذى الذي تحمله سلفنا من الصحابة، وعلينا أن نعلو بأنفسنا فوق شهواتنا ورغباتنا الدنيئة، كما علينا أن نهجر الضعف والعطالة، والإهمال والسرف، والصغار والإسفاف، ووضع الأشياء في غير مواضعها، علينا أن نكف الشر عن بعضنا، أو نمس كرامتنا.

لكي ننال حرياتنا علينا من أداء واجباتنا والتماس مرضاة الله تعالى وحده في عملنا وحياتنا، فلا نلوث حياتنا بالسلطة والمال والعلاقات المحرمة ولا نتهاون مع الباغي أو الظالم، أو نتهاون في الحكم بالحق والشرع والعدل.

فالإنسان في خضم الحياة الصعبة قليل بنفسه كثير بإخوانه، فبالتالي يستطيع أن يحفظ حريته وكرامته وتحقيق أمنياته.

وإن كبت الحريات وإذلال الشعوب واستضعافها من قبل أهل الحلِّ والعقدِ مؤذنٌ بانهيار حضارتهم، وطمس معالمها، وعدم تمكنها من مسايرة دول العالم التي تشهد شهوداً حضاريّاً ملموساً إلى نحوٍ أفضل، وبناءً على ذلك فإن الأمة تحتاج إلى نهضةٍ وشهودٍ حضاري لتلحق بالركب مستبدلةً الاستضعاف بالعزّة والقوّة.

(1) الغريب، المرجع السابق، ص104.

المطلب الثالث: قطر الحرية والشهود الحضاري رؤية 2030م.

إن دستور دولة قطر يؤكد على حرية التعبير والرأي، كما يحترم تنوع الثقافات واختلاف الأديان، فهو بذلك يحافظ على الخصائص الوطنية والإقليمية، كما أن له دوراً فعالاً في تعزيز التسامح الديني والسلام والاحترام [1].

وهذه المبادئ الأخلاقية والقيم المعنوية، تضمن حقوق الإنسان، وتعزز الكرامة البشرية، التي تحقق لها السيادة الوطنية في جميع المصالح الدينية والثقافية والاجتماعية واللغوية، حيث وضَعتْ لها قواعدَ وقوانينَ لتطويرها [2].

والشهود الحضاري لدولة قطر واضح بكل قوة من خلال رؤية 2030م التي أطلقها الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة بن حمد أل ثاني حفظه الله ورعاه، لتكون خارطة واضحة لمستقبل قطر، والتي تهدف في إطلاقها إلى الأمام من خلال الموازنة بين الانجازات التي تحقق النمو الاقتصادي وبين مواردها البشرية والطبيعية والإنسانية، وهذه الرؤية تشكل منارة توجه تطور البلاد الاقتصادي والاجتماعي والبشري والبيئي في العقود المقبلة، بحيث يكون شموليا ويستفيد منه مواطنو قطر والمقيمون فيها، في مختلف جوانب حياتهم [3].

وهذا الشهود الحضاري يبدو جلياً في جميع مظاهر الحياة سواء كان على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو التعليمي، وكل هذا الشهود الحضاري والمشاريع التنموية هي تطلعات من أجل غد ومستقبل مشرق لدولتنا الحبيبة قطر.

---

(1) الحمادي، المهندي، السكرتير الثاني لدولة قطر لدى البعثة الدائمة بجنيف، مقال في جريدة الراية القطرية بعنوان "**حرية الرأي والتعبير حق يكفله الدستور**"، http://www.raya.com. استرجع بتاريخ 2018/10/1م.

(2) الحمادي، المهندي، المرجع السابق.

(3) **وثيقة رؤية قطر2030م**، https://www.mdps.gov.qa/ar/qnv1/pages/default.aspx. استرجع بتاريخ 2018/9/5م.

وهذه الحرية المتاحة المحفوظة لكلّ فردٍ في قطر ترفع الأمة وتمنع استضعافها وتسلط الظالمين عليها، وهذا وجهٌ مشرقٌ لدولة قطر وبه يكون لها قصبُ السبق محليًّا وعالميّاً في تطبيق هذه المبادئ العليا مما يضعها في مصاف الدول الحرة التي تحقق الكرامة لكل من يقطن أرضها.

المبحث الثالث:

الاتحاد وجمع الكلمة.

المطلب الأول: قيام الأمة بدورها الأساسي.

المطلب الثاني: السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله.

المبحث الثالث:
الاتحاد وجمع الكلمة.

المطلب الأول: قيام الأمة بدورها الأساسي.

إن عصمة الأمة ووحدتها لا تتم إلا بأمرين مذكورين صراحةً في كتابه العزيز في آية آلِ عمران وهما (الاعتصام بحبل الله وذمّ الفرقة) قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103].

فاتحاد الكلمة سبيلٌ للعزة والقوّة والتمكين، وهو السبيل الوحيد لعلاج الاستكانة والضعف، وقد حذّرنا الله سبحانه من تتبع السبل (الطرق) التي تصّد الأمة عن الدين، وأمرنا بالتزام صراطه ومنهجه المستقيم لتنجوَ الأمة من كيدِ الكائدين، ومكر الماكرين قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153].

وفي آيةٍ أخرى قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا} [الأنفال: 46]، لذلك تجب طاعة الله ورسوله حتى لا توصف الأمة بالفشل وذهاب الريح وتتمكن من القيام بدورها الرئيس في الدعوة إلى الخير والصلاح.

فإن اجتماع الكلمة مبدأ أساسيٌ لبناء وحدة الأمم والشعوب، حيث أمر به الإسلام في قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، وقوله صلى الله عليه وسلم:" إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[1]، ومن هذا المنطلق فالوحدة: "هي اتحاد الدول أو البلاد، والأفراد والجماعات في سائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم

(1) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج1، ص103، رقم (481)؛ ومسلم، **في صحيحه**، كتاب الآداب، باب المؤمن للمؤمن كالبنيان، ج8، ص20، رقم (6677).

وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع شيئاً واحداً أو أمة واحدة، ويقال اتحاد البلدان أي صارا بلداً واحداً". [1]

ووصف أبو زهرة الوحدة بأنها: "هي الشمس التي تمزق ظلام الضعف والانحلال والتبعية، وبعد ذلك لا نلوم الشعوب إن أظهرت عطشها للوحدة فقد ملّت من عهد الجهل والتخلف والتبعية، حيث إن الفرقة بين المسلمين هونت أمرهم وجعلتهم حجة على الإسلام ومبادئه، حتى لقد قال الأعداء: لو كان الإسلام خيراً ما كان أهله على هذا الحال من الخلل والاضطراب والبعد عن أسباب القوة"[2].

وقد أكّد القرآن الكريم على ضرورة الاتحاد وجمع الكلمة لأن جوهر الدين قائمٌ على توحيد الصفِّ ولمِّ الشمل بجمع الكلمة والاعتصام، وعدم الفرقة والشتات، لكن أصبح البحث عن الوحدة اليوم نوعٌ من المثالية وضربٌ من الخيالِ، بسبب واقع الأمة وما تعانيه داخليّاً من التفرقة والاختلاف والتحزبات، وكل ما له صلةٌ بالاستضعاف فلابدَّ من علاجه لاستعادة وحدة الأمة وقوتها وعزها وتمكينها.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "وما يقالُ بالنسبة للأفراد يقال بالنسبة للأمم المسلمة، إذ يجب على الأمة القويّة في مالها أو رجالها أو سلاحها أو علومها أن تمُدَّ الأمة المستضعفة وأن تعينها على الحفاظ على نفسها ودينها، وتمنع عنها الذئاب من حولها المتسلِّطة عليها، وأن تؤتيها من مال الله الذي آتاها، فهذا هو مقتضى الأخوة الإسلامية التي عقدها الرب سبحانه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها"[3].

وإن الاعتصام بحبل الله وتوحيد صفوف الأمة واجتماع كلمتها هما النقطتان اللتان تضمنان لهذه الأمة البقاء، والدوام، والنجاح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والخير كل الخير في اتباع السلف الصالح، والاستكثار من معرفة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

(1) هاشم، أحمد عمر، **وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية**، بحث مقدم للملتقى الأول لعلماء المسلمين في مكة المكرمة، 1427هـ-2006م، ص7.

(2) أبو زهرة، محمد، **الوحدة الإسلامية**، سلسلة الثقافة الإسلامية، المكتب الفني للنشر، 1958م، ص25.

(3) **مجلة البحوث الإسلامية السعودية**، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، د.ت، ج21، ص496.

والتفقه فيه، والاعتصام بحبل الله، وملازمة ما يدعو إلى الجماعة والألفة، ومجانبة ما يدعو إلى الخلاف والفرقة"[1].

فالالتزام بالجماعة هو سبب لعلو شأن الأمة، فعن أبي هريرة قال: "لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله، لا يضرها من خالفها، تقاتل أعداء الله، كلما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين حتى تأتيهم الساعة"[2]، هكذا الأمة إذا تمكنت من المحافظة على أمر الله حقق الله لها النصر، وحفظها من تسلط العدو عليها.

وإن الأمة الإسلامية اليوم في أمسّ الحاجة لوحدةِ الصفِّ وذلك بسبب تكالب الأعداء عليها، وبسبب ما تعانيه من ألوان الغزو الفكري والعقدي والثقافي والمادي والمعنوي، فهم عملوا على نزع الهوية الاسلامية، وتشغيل الطابور الخامس، طابور النفاق ليعبث في الحقائق والعقائد والأسس والثوابت، وكل ذلك من أجل أن تنسلخ الأمة من ماضيها وحاضرها، وتاريخها ودينها، وتفتيتها وتمزيق صفها [3].

وإذا اجتمعنا واتحدنا وتآلفنا في صفوف واحدة متحدة فلن يتمكن العدو منا لأنهم في الحقيقة متفرقون وإن كان يبدو لنا أنهم متحدون، كما في قوله: {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [الحشر: 14]، فهم بينهم العدوات والفرقة التي لا تمكنهم من مواجهة المؤمنين إذا اتفقوا واتحدوا، وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 105].

---

(1) ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع فتاوى ابن تيمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م، ج6، ص505.

(2) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، **مسند الشاميين**، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1405هـ-1984م، ج 2، ص 394، رقم (1563).

(3) المنجد، محمد بن صالح، مقال **كيف يتحد المسلمون**، الموقع الرسمي للشيخ، https://almunajjid.com/1292 استرجع بتاريخ 5/2/ 2018م.

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، فمفهوم الأخوة يشمل الوحدة لأن الأخوة تقتضي التآلف والتآزر والتعاضد وبذلك تستطيع الأمة أن تقف في وجه الاستضعاف وأن تستعيد عزتها وكرامتها ووحدتها وتمكينها، وحتى يتحقق لنا ذلك يجب أن تكون مرضاة الله تعالى هي همنا الأساسي حتى لا يتمكن العدو من الوصول والتسلل إلينا، وحتى نخرج من حالة الضعف والهوان والذل والوصول إلى حالة القوة والاستقرار والتمكين.

المطلب الثاني: السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله.

إن الله سبحانه وتعالى شرع الاستخلاف في الأرض لإقامة الدين وتعايش الناس فيما بينهم وذلك يقتضي تنصيب حاكم يحكم الأمة ويديرُ شؤونها ويراعي مصالحها، وبالمقابل فإن الرعية ملزمةٌ بطاعته، قال تعالى مخاطباً للمؤمنين: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59]، وفي الصحيحين عن ابن عباس: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[1].

وقد ذكر القرآن في قصة موسى، لما ذهب لميقات ربه وترك أخاه هارون عليه السلام عند قومه[2]، قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: 142]، ففي هذه الحالة كان يجب أن تكون لهارون عليه السلام السمع والطاعة، لكن بني إسرائيل عبدوا العجل وعصوا الله ولم يسمعوا ولم يطيعوا واستضعفوا هارون عليه السلام حتى كادوا أن يقتلوه قال تعالى: {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 150].

هكذا يكون حال الأمة إذا لم تطع الحاكم العادل فيكون مصيرها الذلّ والاستضعاف، وإذا كان الحاكم ظالماً فيجب الصبر وعدم الخروج عليه لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: 20]، "وحتى لا تحصل فتنة أكبر بين الأمة، فيؤدي ذلك لشر عظيم أو أعظم من الأذى المطلوب دفعه، أو يكون في دفعه ظلم وعدوان، بل المتعين حينئذ الصبر والاحتمال وضبط النفس"[3].

"وهكذا كان السلف رضوان الله عليهم، جاء في كتاب الشريعة للآجري عن الحسن البصري، أيام يزيد بن المهلب، قال: وأتاه رهط، فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم

---

(1) أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم "سترون بعدي أمورا تنكرونها"، ج 9، ص 47، رقم (7053).

(2) الحميد، محمدبن ناصر، **هدايات القرآن المبين لعباد المستضعفين**، رسالة لاستاذ مشارك بقسم التفسير بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص 26.

(3) الغنيمان، **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، ج1، ص19.

أبوابهم، ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، والله ما جاؤوا خيرا قط، ثم تلا: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأعراف: 137]"[1].

فطاعة الحاكم ضرورية من أجل المحافظة على الاجتماع، وخوفاً من التفرق، الذي يضعف الأمة أمام هجمات الأعداء، ومحافظة على دماء المسلمين وأعراضهم، وأموالهم، لما يحصل من الفتن وسفك الدماء،عند الخروج على الحاكم، فإن نشب القتال بين طائفتين يجب الإصلاح بينهما، قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: 9].

فالقتال عندما يقع بين طائفتين مسلمتين يجب الإصلاح بينهما بالعدل، والقتال بين الطوائف في أمة واحدة يضعف هذه الأمة، لذلك يجب التغلب على هذا القتال بالإصلاح، وعليه فإن الخروج على الحاكم يؤدي إلى اختلاف الكلمة ونهب الأموال وسفك الدماء وتعطيل الشعائر الدينية من صلاةٍ وحدٍ وحدود، وإحداث الفوضى العارمة، وستصبح الأمة عرضة لاحتلال الدول الأخرى، وذلك بسبب ضعفها واستكانتها وخروجها على حاكمها وعليه فيجب عدم الخروج على الحاكم، كما قال تعالى على لسان بلقيس: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} [النمل: 34].

---

(1) الآجري، أبو بكر محمد، **الشريعة**، تحقيق/ عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط 2، 1420هـ-1999م، ج1، ص373؛ وانظر الحميد، محمد بن ناصر، **هدايات القرآن المبين لعباد الله المستضعفين**، ص25.

المبحث الرابع:

ترك الوهن والضعف والاستكانة.

المطلب الأول: طمس معالم اليأس.

المطلب الثاني: كون الوفاء بالعهود ضمانا لكرامة الأمة.

المبحث الرابع:
ترك الوهن والضعف والاستكانة.

المطلب الأول: طمس معالم اليأس.

لقد حذّر الله سبحانه وتعالى من اليأس والقنوط من رحمته، قال تعالى: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: 56]، فعلى المسلم أن يتفاءل ويتمنى الخير وألا ييأس ويستسلم، فإن الله رفع مكانته وأعلاها، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139]، قال رشيد رضا:" وعدهم الله تعالى هذه الوعود في حال قلتهم وضعفهم وفقرهم، وبعدهم عن الملك والسلطان، وأنجز لهم ما وعدهم بما قضاه وجعله أثراً للاهتداء بالقرآن، هدى الله تعالى بهذا القرآن العرب وهدى بدعوتهم إليه أعظم شعوب العجم، فكانوا أئمة الأمم"[1].

وهذه صيحة للقضاء على اليأس، وهي تحث على العمل، وعدم الاستسلام لليأس، وعدم الإذعان للقنوط، وعدم قبول الهوان، وهي منقبة الصحابي الجليل أنس بن النضر رضي الله عنه، عندما انتشر خبر قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وشاع بين صفوف المسلمين فخارت قوى بعض المسلمين ولانت عزيمتهم حتى أنهم جلسوا عن القتال، فبث فيهم روح الأمل والإقدام في سبيل الله "فعن أنس بن النضر، عم أنس بن مالك إلى عمر، وطلحة بن عبد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمدٌ رسول الله! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! واستقبل القومَ فقاتل حتى قتل[2].

وإن الناس في هذا الزمن قد أصيبوا باليأس والاحباط والاستعجال على النصر، فصاروا يرون أن حال المؤمنين لن يتغير ونسوا أن النصر يحتاج إلى صبر وهي مسألة وقت ولكننا نستعجل، وقد يأخذ الله النصر لحكمة لا ندرك كنهها، وذلك لتمحيص المؤمنين

---

(1) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص6.

(2) أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ج 5، ص 95، رقم (4048)؛ ومسلم، **في صحيحه**، كتاب الجهاد، باب: ثبوت الجنة للشهيد، ج 6، ص 45، رقم (4953).

وتطهيرهم، وعليه فمن الواجب بعث روح الأمل والنصر والتبشير في النفوس لرفع معنويات الأمة في وجه الظلم والاستكبار العالمي [1].

وقد أكد الإسلام على ضرورة الأخذ بأسباب العزة والتمكين، في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: 8]، وفي هذه الآية إعلام بعزة المؤمنين ومهانة وذل المنافقين، وفضح لتخاذلهم لأنهم لا يثبتون في ساعات المحن.

وقال تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: 8]، لذلك لا يزال أعداء الإسلام يمكرون بالليل والنهار وشعارهم "إطفاء نور الله" لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، ولن يتمكنوا من إطفاء هذا النور الذي ضمن الله إتمامه.

فهؤلاء الذين يحاولون تفريغ الإسلام من محتواه الحقيقي، الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لكن أنى لهم هذا، وهنا توضيح لهم من الله العلي القدير بأنه حتى في زمن الضعف والاستكانة التي يمر بها المسلمون فلن يطفأ نور هذا الدين وستبقى عزته وكبرياؤه، إلى قيام الساعة [2].

وفي حديث الرسول عليه السلام خير شاهد على ذلك: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك بيت مدر ولا وبر إلا وأدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز به الإسلام، وذلا يذل به الكفر"، فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية. [3]

وسوف تبقى هيبة الإسلام وكبرياؤه، وفي ذلك يقول الآلوسي: "ليجعلن الله للمسلمين دينهم ثابتاً مقرراً بأن يعلي سبحانه شأنه ويقوي بتأييده تعالى أركانه، ويعظم أهله

---

(1)القضاة، أحمد، **الدور الريادي لحملة القرآن في نهضة الأمة**، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 18، يناير2010م، ص 169-210، والمجالي، **نحو جيل قرآني**، ص283.

(2) بلوافي، أحمد، **مبشرات في زمن الاستضعاف**، ج3، ص494، مجلة السنة، العدد 62.

(3) أخرجه أحمد، في **مسنده**، مسند الشاميين، حديث تميم الداري، ج6، ص1377، رقم 17231؛ وأخرجه الحاكم، في **المستدرك**، ج 4، ص 477، رقم 8326، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

في نفوس أعدائهم الذين يستغرقون النهار والليل في التدبير لإطفاء نوره، ويستنهضون عدتهم للتوصل إلى إعفاء آثاره، فيكون بحيث ييأسون من التجميع لتفريقهم عنه ليذهب من البين، ولا تكاد تحدثهم أنفسهم بالحيلولة بينهم وبينه ليعود أثراً بعد عين"[1].

وعليه يبقى اليأس مؤشرا للاستضعاف إن لم تستطع الأمة تغيير واقعها الحالي، وذلك يقتضي منها إحياء المعالم الحضارية والثقافية والدينية في بناء مجد هذه الأمة وفي أبناءها لإعادة مجدهم وعزتهم.

(1) الآلوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة – بدون تاريخ، ج 18، ص 203.

المطلب الثاني: كون الوفاء بالعهود والمواثيق ضمانا لكرامة الأمة.

يجب الوفاء بالعهود والمواثيق بما يضمن كرامة الأمة وعدم استضعافها، إلا أن هناك حالات خاصة ظاهرها قبول شروط العدوّ مع أنها في الحقيقة ترجع بالخير على المسلمين ومثال ذلك صلح الحديبية، وهذا الصلح لم يكن حدثاً عابراً في التاريخ الإسلامي، بل كان حدثاً عظيماً ترتبت عليه اتفاقيات أبرمت بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من جهة، والكفار من جهة أخرى.

وكان من بنود الصلح والاتفاقيات بين الطرفين ألا يعتدي أحد من الفريقين على حلف الآخر، وهذا نظيره في عصرنا ما عرف "بانتهاك القوانين المتعارف عليها محلياً ودولياً".

ولقد ضرب لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلّم أروع الأمثلة في الالتزام بالعهود والمواثيق، ومن ذلك صلح الحديبية، حيث كان في بنود الصلح ظلم وجور على المسلمين، ولكن المسلمين التزموا بها، وهذا من باب جلب المصالح ودرء المفاسد ومواكبة العصر ومسايرته، مما كانت له نتائج وآثار جليلة بأن سمّاها الله تعالى في القرآن الكريم فتحاً مبينا، قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: 1]، وهذه الشروط كانت تمهيداً لفتح مكة وإعطاء الدولة الإسلامية هيبتها ورهبتها في قلوب أعدائها، وأعطى المسلمين دروساً من الصبر والتأني وتمحيص قلوب المؤمنين وغربلة صفوفهم من المنافقين. (1)

وإن احترام العهود والمواثيقِ مبدأ أساسيٌ أولاه الإسلامَ عنايةً فائقةً، قال تعالى مخاطباً لعباده المؤمنين: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: 1] وتسمت سورةٌ في القرآن باسم العقود، والمواثيق سواء كانت مواثيق دولية أو محلية فهي توطد العلاقات وتتقوى بين المسلمين وغيرهم في إطار التعايش السلمي، وهذا التعايش له ضوابط وكما قال الزحيلي في "ثلاثة أمور أساسية هي: الاعتراف المتبادل المتكافىء بين الدول، والاعتماد على الثوابت في

(1) أبو زهرة، **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلّم**، ج2، ص758.

إغناء الحوار، وتفعيله، والموضوعية والحياد في الوسطاء، والإسلام في تشديده على حفظ العهود والمواثيق ألزم بالوفاء حتى بأحلاف الجاهلية ذات الطابع الخيّر الإنساني الرفيع"[1].

ويمكن تقسيم العهود إلى ثلاثة أقسام: عهد مع الله، وعهد مع الناس، وعهد مع النفس، وأول هذه العهود وأولاها بالوفاء عهد الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: 34]، وعهد الإنسان بنفسه أن يلزمها بالتزام أوامر الشرع لتهذيبها وإصلاحها، وأما عهده مع الناس فيجب الإيفاء به ضماناً لمصلحته ومصلحة الآخرين.

إن الله تعالى ضمن للأمة الإسلامية العزة والتمكين ونشر روح العدل والمساواة إن هي تمسكت بتعاليم المنهج الإسلامي الصحيح وهذا درعٌ حصينٌ يقي الأمة من الاستضعاف إن هي درجت عليه، وطبقته واقعاً ملموساً[2].

وإن الله تعالى نهى عباده المؤمنين عن اتخاذ الوهن والاستكانة عذراً عن إقامة الدين، فالإسلام يدعو للعزة والتمكين ولا يقبل المهانة والاستضعاف، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139]، يقول الواحدي إن الوهن هنا "هو أقرب أن يكون نقصان إلى القوة المعنوية، ومنها خور العزيمة، ودبيب اليأس إلى النفس وحلول الخوف"[3]، فهو ذلة في النفس ويقابله الضعف، فالقرآن الكريم رفض قبول الاستضعاف والوهن والاستكانة، وجعله ظلماً للنفس، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} [النساء: 97]، فالاستضعاف والوهن من الأمراض التي تبدأ بالفرد ثم تنتهي للمجتمع.

---

(1) الزحيلي، وهبة، **العلاقات الدولية، واحترام العهود والمواثيق في الإسلام**، ثقافتنا، العدد 8، 1426هـ، مقال في المجلة.

(2) الزحيلي، المرجع السابق.

(3) الواحدي، أبو الحسن علي النيسابوري، **التفسير البسيط**، تحقيق / أصل تحقيقه (15) رسالة دكتوراة بجامعة محمد بن مسعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، نشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ، ج6، ص57.

وهذه الأمراض تجعل الأمة تهوى من عليائها وكرامتها واستعلائها إلى أن تركع أمام الأمم الأخرى، لتصبح لقمة سائغة لها.

وإن أمتنا اليوم تمر في أحلك فترات تاريخها، لأنها انحدرت من القوة إلى الضعف، ومن القيادة والريادة إلى التبعية والهوان، فيجب عليها ألا تستلسم للذل والضعف والاستكانة، لأن الله تعالى أعلمها وبشرها، بقوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} [القصص: 5].

ولكي تتمكن الأمة أن ترجع إلى العصر الذهبي لها، فعليها أن تقرأ الصفحات المضيئة التي سجلها التاريخ في حياة الأمة الإسلامية سابقاً، لكي تعود لرشدها وعزتها وتمكينها وتأخذ بأسباب التمكين والنصر التي أخذ بها سلفنا الصالح.

لكن للأسف فإن الإسلام يؤتى من قبل بني جلدته الذين ينقضون العهود والمواثيق وينشرون ثقافة التطرف كيف شاؤوا ومتى شاؤوا بمقابل عرض من الدنيا زائل يحصلون عليه من الأعداء، وعليه ستبقى الأمة رهينة الاستضعاف والذل إن لم تغيّر منهجها وسياستها.

وعليه فإذا التزمنا بالعهود والمواثيق ستعود الأمة لعزها وقوتها ونصرها وتمكينها وتخرج من ذل الضعف والهوان إلى الرقيِّ والازدهار.

المبحث الخامس:

الهجرة.

المطلب الأول: الهجرة المشروعة.

المطلب الثاني: العجز عن الهجرة.

المبحث الخامس:

الهجرة.

المطلب الأول: الهجرة المشروعة.

الهجرة: "هي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام"[1]. والانتقال عادةً يكون من بلد يسكنه الإنسان بسبب ظلم أهل البلد له واستضعافه، ومن خلال التضييق عليه وإيذائه لكي يترك دينه.

وإن الهجرة تكون إلى بلد يعبد فيه الله وحده دون ظلم أو استضعاف، والهدف من الهجرة هو ابتغاء فضل الله ورضوانه، وعبادته وإقامة شعائر دينه بطريقة علنية، وعندما يهاجر المسلم لمكان جديد يجد عدلاً تطيب معه الحياة.

"وقد قسم العلماء الذهاب في الأرض إلى قسمين: هرباً وطلباً، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام: وهي:

1- الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام.

2- والخروج من أرض البدعة إلى أرض السنة.

3- والخروج من أرض غلب عليها الحرام.

4- والفرار من الأذية في البدن.

5- والخوف من انتشار المرض، والخروج منها إلى أرض االعلاج.

6- خوف الأذية في المال.

أما قسم الطلب، فينقسم إلى قسمين: طلب دين وطلب دنيا، فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام: سفر العبرة، وسفر الحج، وسفر الجهاد، وله أحكامه، وسفر المعاش، وسفر التجارة، والكسب الزائد عن القوت، وطلب العلم، وقصد البقاع، والثغور للرباط بها، وتكثير سوادها للذب عنها، وأخيراً زيارة الإخوان في الله"[2].

---

(1) الجرجاني، **التعريفات**، ص256.

(2) حمامة، حسني حمدان الدسوقي، **الهجرة في القرآن الكريم**، شبكة الألوكة، مقال، 2016م، www.alukah.net/sharia/0/109156، استرجع بتاريخ 2018/10/5م.

حتى نتمكن من إقامة ديننا، وممارسة شعائره على النحو المطلوب، والثبات عليه، فلا بد لنا من البحث عن وطن يمكننا من ذلك، فالمؤمن إذا استضعف عند أداء شعائر دينه وضيق عليه في رزقه فعليه الهجرة حتى يتمكن من أداء شعائر دينه بحرية وأمان [1] قال تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء: 100].

فالآية السابقة تبين أن:" من يفارق أرض الشرك وأهلها هرباً بدينه منها إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين، في منهاج دين الله وطريقه الذي شرّعه لخلقه، سيجد هذا المهاجر في سبيل الله مراغماً كثيرة". [2]

وكان أول من صدّق نبي الله إبراهيم هو لوط عليه السلام "فآمن له لوط، قال ابن كثير: إن إبراهيم حين مرّ على ذلك الجبّار فسأل عن سارة ما هي منه فقال أختي، ثم جاء إليها فقال لها: إني قد قلت له إنك أختي، فلا تكذبيني فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، فأنت أختي في الدين، وكأن المراد من هذا والله أعلم أنه ليس على الأرض زوجان مؤمنان غيري وغيرك، فإن لوطاً عليه السلام آمن به قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام، وقال إني مهاجرٌ إلى ربي"[3] قال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل: 56].

وإن مفهوم الهجرة مفهومٌ شامل لم يختص به العهد المكي دون غيره بل كان هناك قديماً في عهد الأنبياء والرسل من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث تعرض الرسل إلى أشد أنواع الإيذاء والاستضعاف حتى أُذن لهم بالهجرة هم ومن آمن معهم فراراً بدينهم، لأن الهجرة: "هي الخروج من دار الظلم إلى دار العدل أو خروج المسلم من بلد الفتنة إلى بلد الأمن فراراً بدينه، وينبغي التنبيه إلى أن الهجرة تعادل في مصطلحات القانون الدولي المعاصر اللجوء الإقليمي"[4].

---

(1) الحميد، **هدايات القرآن المبين لعباد الله المستضعفين**، ص29.

(2) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج7، ص391.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 6، ص 273.

(4) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج4، ص2583.

ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم لختم الرسالات السماوية أذن له ولأصحابه بالهجرة في صدر الإسلام لأنهم كانوا ضعفاء، ولكن عندما أصبحت لهم القوة بعد فتح مكة كان المنع من الهجرة، فعن ابن عباس قال الرسول صلى عليه وسلّم: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيةٌ وإذا استنفرتم فانفروا"[1].

فالهجرة تجب على الإنسان إذا لم يستطع القيام بشعائر دينه على الوجه المطلوب، حينها تجب عليه الهجرة فوراً إذا لم يتمكّن من أدائها لأنها حق الله تعالى، وحق الله أولى أن يهاجر في سبيله.

يقول ابن عباس: "إن ناساً مسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم، فيأتيهم السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل"[2]، فأنزل الله قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 97].

وقال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: 8] وعليه فإن الآية عامة في كل مستضعف خشي الفتنة على دينه، حينها تشرّع له الهجرة.

ولما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة كانوا تحت وطأة التعذيب فخلّد الله سبحانه وتعالى سبقهم إلى الهجرة بقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} [التوبة: 100]، وبذلك استحقوا الفوز بالجنة ورضوان الله تعالى.

ومن دلالات أهمية الهجرة أنه اقترن ذكرها في القرآن بالإيمان في مواطن كثيرة، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنفال: 72].

---

(1) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير، ج 4، ص 15، رقم (2783)؛ و**مسلم، في صحيحه**، كتاب الهجرة، باب لا هجرة بع الفتح ج6، ص 28، رقم (4864).

(2) ابن وهب، محمد بن عبد الله المصري القرشي، **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، ج1، ص114.

فإن المؤمن إذا تعرّض للذلّ والاستضعاف في الأرض فإنه تجب عليه الهجرة، إلى أرض العدل التي يتمكن فيها من إقامة دينه مخلفاً ورائه الذلَّ والاستضعاف، فالهجرة منشأ لكثير من الخيرات.

المطلب الثاني: العجز عن الهجرة.

إن الله سبحانه وتعالى رفع الحرج عن أصحاب الأعذار وهم النساء والولدان والعمى والعرج وكبار السن والمرضى، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح: 17]، وفي آية أخرى: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} [النساء: 98]

"أي: هم العاجزون عن الهجرة لضعفهم وفقرهم ولا يعرفون طريقاً إلى الخروج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " كنت أنا وأمي ممن عذر الله يعني من المستضعفين"[1]. "وكان رسول الله يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة"[2].

وهؤلاء قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:"اللهم أنج الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف"[3].

وإن الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في سورة النساء واستثناهم هم أصحاب الأعذار الذين لا يقدرون على الهجرة بسبب عجز أو مرض أو لا يستطيعون أن يتحملوا مشاق الهجرة لعجز جسدي أو مادي.

وهذا الضرب الذي لا هجرة عليه ذكرهم ابن قدامة في الضرب الثاني: "من لا هجرة عليه، وهو يعجز عنها، إما لمرض أو إكراه على الإقامة، أو ضعف من النساء والولدان وشبههم، فهذا لا هجرة عليه، ولا توصف بالاستحباب، لأنها غير مقدور عليها"[4].

---

(1) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب تفسير القرآن، باب: ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء، ج 6، ص 46، رقم (4588).

(2) مجير الدين، العليمي المقدسي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، دار النوادر، ط1، 1430هـ-2009م. ج2، ص682.

(3) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله"فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا"، ج 6، ص 48، رقم (4589).

(4) ابن قدامة، **المغني**، ج13، ص151.

فأصحاب الأعذار يرفضون الذل والهوان والتخلي عن الإيمان، ولكن ليس بيدهم حيلة فهم مأجورون وما لهم إلا الصبر والعمل بقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16]، فلعلّ وعسى أن يستجيب الله لهم ويرضى عنهم بأن يرفع عنهم الذلَّ والاستضعاف ليعبدوا الله حق عبادته وبذلك تكتب لهم النصرة والتمكين فيكونون كمن هاجر.

المبحث السادس:

الجهاد في سبيل الله.

المطلب الأول: الدعوة إلى الله سبيل لحفظ الدين.

المطلب الثاني: الإعداد الجيد لمواجهة التحديات.

المبحث السادس:
الجهاد في سبيل الله.

المطلب الأول: الدعوة إلى الله سبيل لحفظ الدين.

إن أهمية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي الطريق الأمثل لإقامة الدين وذلك من خلال مجاهدة النفس والشيطان، لترويضها على جهاد العدو، إن تعيّن عليها ذلك، لأن الجهاد له أحكامٌ تخصه.

قال الله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج: 78]، وقال ابن عباس: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ» قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ"[1] وقال الضحاك ومقاتل في تفسير هذه الآية: "اعملوا لله حق عمله، واعبدوا الله حق عبادته" [2].

وقال تعالى أيضاً: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [التوبة: 16].

فلا يخفى على الله سبحانه وتعالى الذين اتخذوا من دون الله ورسوله أولياء وبطانة، بعد أن نهاهم الله عن ذلك، ولا يخفى عليه إعمالهم فإنه مجازيهم بها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. [3]

"فالإسلام هو دين السلام، يرّغب في السلام ويؤثره على الحرب، فإنه لا يقدم على الحرب مع وجود وسيلة لحل المشكلة أو القضية، فإذا لم يكن بدٌ من الحرب للإبقاء على العقيدة، أو على الحياة، فالحرب شرٌ لا مندوحة عنه، وقد دعا الإسلام إلى السلام فإذا لم

---

(1) أخرجه أحمد، في **مسنده**، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ج5، ص1892، رقم (14680).

(2) الهرري، محمد الأمين الأرمي العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م، ج5، ص31.

(3) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج14، ص164.

يستجب خصومه، وأبوا إلا الحرب، وصبر المسلمون على أذاهم، فلم يزدادوا (المشركون) إلا عتواً وفساداً في الأرض، فلم يكن بدٌ من حربهم، لأن الإسلام يدعو أتباعه إلى القوة، المادية والنفسية ليحموا أنفسهم، كما يدعوهم إلى المسالمة والأناة"[1].

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى جهاد العدو وقتالهم، عندما حلّ بالمؤمنين الاستضعاف والذل وذلك لرفع الظلم عنهم بعد اشتداد أذى المشركين واستضعافهم، وفي ذلك قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال: 26]. "فالدعوة الإسلامية كانت فعلاً نقطة تحول لإقامة حياة عزيزة الجانب، موفورة البركات، فمن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الحجر إلى الرشد، ومن الضيق والخصاصة إلى السعة والغنى عن الناس، ومن الانكسار إلى الانتصار"[2].

والآية السابقة تعبّر تعبيراً حقيقاً ينطبق على الواقع فقد كان المسلمون في بداية العهد المكي قلة لا يتجاوزون بضع عشرات مضطهدين، فلم تمضِ إلا سنوات حتى كثر المسلمون وكان النصر حليفاً لهم، والله تبارك وتعالى ضمن لهم ذلك فكانت لهم الغلبة بعد أن كانوا مستضعفين [3]، قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: 39]، وكما ذكر الزحيلي: فإن "الآية تعليلٌ للإذن بالقتال بأمورٍ ثلاثة:

1- أنهم ظلموا بالاعتداء عليهم وإخراجهم من ديارهم وما ذلك إلا لأنهم يدينون دين الحق، ويقولون ربنا الله.

2-أنه لولا إذن الله للناس بمثل هذا الدفاع لهدمت جميع المعابد التي يذكر فيها اسم الله كثيراً، بسبب ظلم الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

---

(1) **التفسير الموضوعي**، جامعة المدينة الإسلامية، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، كود المادة: 1UQR3D3، ج1، ص240-241.

(2) الناصري، محمد المكي، **التيسير في أحاديث التفسير**، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1، 1405هـ 1985م، ج 2، ص 322.

(3) الناصري، المرجع السابق، ج 2، ص 322 -323.

3-إن غاية النصر والتمكين في الأرض والحكم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[1] يقول الحق جل وعلا: {وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة: 246].

ولا تحب الحرب في الإسلام إلا في أحد حالين، منها الحالة الأولى المذكورة في الآية السابقة، وهي حالة الدفاع عن النفس والعرض والمال والأرض من الاعتداء.

والنفوس لا تميل للحرب فقد قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216].

"فبالرغم من كراهة الجهاد لما فيه من المشقة فإنه سبيل العزة والغلبة والنصر أو الشهادة، وعندما ترك المسلمون الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار وتفرقت كلمتهم وتشتت وحدتهم، استولى العدو على بلادهم في الأندلس وفلسطين وغيرهما"[2].

فالجهاد يأتي بمعنى البذل والوسع والطاقة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة: 79]، أي وسعهم وطاقتهم، فالمجاهد يبذل كل ما بوسعه وطاقته في سبيل تحقيق الأهداف، فالجهاد: "هو الدعاء إلى الدين الحق"[3].

والجهاد:" مأخوذ من الجهد، وهو بذل أقصى الطاقة في مدافعة العدو، وهي أنواع أعظمها: جهاد أعداء الله تعالى من الكفار والمنافقين والظالمين والمبتدعين في دين الله ما ليس منه، وكذلك من أنواع الجهاد: جهاد النفس الأمارة بالسوء وجهاد الشيطان"[4].

قال الله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: 78]، "أي وجاهدوا في سبيل نصرة دين الله، من أجل إرضاء الله،

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج2، ص362.

(2) الزحيلي، المرجع السابق، ج2، ص362.

(3) الجرجاني، **التعريفات**، ص80.

(4) الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة قطر للطباعة والنشر، ط1، 1997م، ج9، ص346.

جهاداً حقاً خالصاً لوجهه الكريم الذي لا يشوبه رياء، ولا يثني عنه لومة لائم، فالجهاد في الله معناه: الجهاد في سبيله ومن أجل دينه، والأولى أن يحمل الجهاد على المعنى العام الذي يشمل جميع أنواعه، والجهاد أنواع ثلاثة: جهاد النفس والهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار المعتدين والمنافقين"[1].

وجهاد النفس أصلٌ لجهاد العدوّ الظاهر، فهو الجهاد الأكبر كما وصفه عليه الصلاة والتسليم، في حديث أنس رضي الله عنه قال، قال عليه الصلاة والتسليم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"[2][3].

وعند سماع كلمة الجهاد يتخيل السامع مشهداً واحداً وهو القتال، ولكن الجهاد أنواع ذكرت مجملة في قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج: 78] قال الراغب: "الجهاد ثلاثة أضرب، مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس"[4].

فالله سبحانه وتعالى جعل الجهاد من الأعمال المقرّبة إليه تعالى، وهو أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، لقوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: 19].

وإن الجهاد الحقيقي في سبيل الله له دورٌ كبيرٌ في رفع الاستضعاف عن الأمة لما فيه من بذل النفس والمال في سبيل النصر وإعادة التمكين فهو يعيد للأمة عزتها وهيبتها.

فالجهاد من الفروض التي "فرضها الله تعالى على المسلمين فهو وسيلة لمحاربة المستكبرين وتخليص المستضعفين والمستكبرين والقضاء على ظاهرتي الاستكبار والاستضعاف"[1].

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج17، ص285.

(2) أخرجه أحمد، في **المسند**، مسند أنس بن مالك، ج4، ص2854، رقم (12430)؛ وأبو داود، في **سننه**، كتاب الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو، ج3، ص10، رقم (2504)؛ والحاكم في **المستدرك**، ج2، ص91، رقم (2427)، وقال هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاهن ووافقه الذهبي.

(3) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج17، ص285.

(4) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ج1، ص208.

وكذلك من سبل الجهاد، جهاد الدعوة، ولا يكون ذلك إلا بالدعوة إلى الله على بصيرة قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108]، وذلك بأن يتفرغ الإنسان لمعرفة هذا الدين العظيم كتاباً، وسنة، وفقهاً، وأحكاماً، وسيرة، فيكون الجهاد الدعوي بعد التفرغ التام لهذا العلم، والتبحر فيه، والتعمق فيه[2]، قال تعالى: {يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم: 12]، فكيف يمكن أن يكون أخذ الكتاب بقوة بدون معرفة ما فيه من حكمة، فالدعوة إلى الله تكون بالدليل والتعليل، وبالحجة والبرهان.

فيجب علينا مجاهدة النفس أولا، ثم التغلب على أهوائها وشهواتها، ثم تتجه القدرات نحو الدعوة إلى الله من أجل الحفاظ على الدين حتى يمكن المحافظة على الحق ليكون أقوى من الباطل.

فالجهاد في سبيل الله تعالى بالدعوة إلى سبيله بالحكمة هو من أهم وسائل رفع الظلم والاستبداد، ورفع الاستضعاف والذل الذي أصاب أمتنا الإسلامية.

---

(1) أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن**، ص294.

(2) النابلسي، راتب، **الجهاد وأنواعه**، تفسير مطوّل لسورة التوبة، آية 73، موقع فضيلة الدكتور راتب النابلسي/www.nabulsi.com. استرجع بتاريخ 2018/5/6م.

المطلب الثاني: الإعداد الجيد لمواجهة التحديات.

إن بناء مجد الأمة ورفعتها يقتضي من الجميع الكفاح العلمي والاقتصادي والثقافي والسياسي، بالصمود في وجه التحديات والشدائد والهجمات الإعلامية الشرسة والضغوطات السياسية التي تمارس على أمتنا من قبل أعدائها.

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد العدة اللازمة لذلك حيث قال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: 60]، وإن من دواعي النصر والتمكين لأي أمةٍ إسلامية تريد أن ترفع مستوى بناءها، أن تتطور في جميع جوانب حياتها فيتقدم العلم بتشييد الجامعات العلمية، والمصانع التجارية، وضخ الحقول والمشاريع التنموية، وإعطاء أهمية قصوى للنظام الأمني والعسكري، وغرس الهوية الإسلامية في صفوف الشعوب للنهوض بالأمة نحو مستقبلٍ مشرق يصمد أمام التحديات، ويقود الأمة للنصر والتمكين ويخرجها من ذل الاستضعاف وإعداد كل ما يلزم لذلك[1].

فالقوة المقصودة في الآية هي القوة المطلقة، فتشمل القوة المادية، والمعنوية والتي تكون سببا في النصر، وإعلاء كلمة الله تعالى، فالبعض يعتقد أن انتصار المسلمين يكون بمعية الله بدون الأخذ بالأسباب، وهذه التصورات والتوهمات الخاطئة لا بد من تغييرها، ولا بد من الإعداد الجيد لتحقيق النصر [2].

وهذا يتطلب الوقوف أمام أي تحدٍ يواجه الأمة من قبل أعدائها قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: 193]، وبهذا القتال يحفظ الإنسان كرامته ولا يكون عبداً إلا لله، فلا يخضع لسلطة حاكم ظالم مستبد يبيد شعبه ويحكم على أمته بالهلاك والزوال والدمار.

ومع الإشارةّ إلى أهمية القوة البدنية والقوة الخارجية للمسلمين فهم يتميزون عن غيرهم بأن "قوة المؤمن في قلبه، وكلما قوي قلبه قوي بدنه، وأما الفاجر فإنه وإن كان قوي البدن

---

(1) النابلسي، **الجهاد وأنواعه**، موقع النابلسي /*www.nabulsi.com*، استرجع بتاريخ 2018/5/6م.

(2) رباع، كامل، **فقه الاستضعاف**، ص76.

فهو أضعف شيء عند الحاجة، فتخونه قوته، وإن تأملنا قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم قوتهم عند أحوج ما كانوا إليها، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم"[1].

ويجب أن نعلم: "أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا اليأس من ارتقائها إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، فإن الأمة ما دامت ذليلةً مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها ولا يكون لها إمامة فيه"[2].

فالإعداد مطلب للإنسان حتى يستخلف هذه الأرض لرفع الذل عنها وبناءها بناءً صحيحا، لنخرج جيلاً قوياً يمكنه الصمود أمام ضربات وتحديات الأعداء.

وإن القرآن دعا إلى الصبر لقتال العدوّ وعدم إظهار الضعف والاستكانة فقال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146]، فإذا تمكنا من إعداد الأمة فسوف نتمكن من مواجهة العدو، بدون أن يكون لها عذر من ضعف نفس أو مال، أو ضعف إمكانات، فاللذين جاهدوا مع الأنبياء كانوا بدون ثروة ولا مال، ولا قصور ولا كنوز، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا.

وعليه فإن تحقق الإعداد القوي الكامل، يمكّن الأمة من النصر والتمكين ويرفع عنها الذل والاستضعاف.

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت، ج1، ص35،36؛ وانظر: الشوخي زياد، **أسباب الاستضعاف ووسائل دفعه**، ص143.

(2) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج1، ص618؛ وانظر المشوخي، **أسباب الاستضعاف ووسائل دفعه**، ص144.

المبحث السابع:

تفعيل الحوار مع الآخر.

المطلب الأول: العزة الإيمانية والجهر بالحق والثبات عليه أثناء الحوار.

المطلب الثاني: ثمرة الحوار البناء.

المبحث السابع:
تفعيل الحوار مع الآخر.

المطلب الأول: العزة الإيمانية والجهر بالحق والثبات عليه أثناء الحوار.

على المؤمن أن يجهر بالحق ويثبت عليه لأنه أصل من أصول الحوار، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8]، فهذا الشعور بعزة الإيمان وقوته يجعله يشعر بطمأنينة وثقة بالنفس أثناء الحوار، فهو يستعلي بقوة الحق، ويخضع ويستكين لله، ويشعر بعزة المؤمن عند جهره بالحق، اقتداءً به عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم [1] عندما أمره الله تعالى بقوله: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: 94].

فالله سبحانه وتعالى حذر أشد التحذير من تزوير الحقائق وكتمانها في قوله تعالى لأهل الكتاب: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: 71]، فتزوير الحقائق وخلطها لا يساعد على إيجاد أرضية مناسبة للحوار.

والأنبياء جميعهم عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم في حوارهم بدؤوا بأول أصل إيماني وهو توحيد الله، وكانت دعوتهم قائمة على أساس من الحجة والبرهان، قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111]، قال الإمام الفخر الرازي: "دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفياً أو إثباتاً فلا بد له من الدليل والبرهان"[2] فالحوار لا بد له من الدليل والحجة والمنطق وتوضيح الأدلة على صدق المحاور.

وعندما يتجاذب الطرفان الحديث فلا بد من امتلاك حرية فكرية، مع إثبات وجودها للطرف الآخر مما يزيد ثقته بنفسه، ولإنجاح ذلك الحوار فلا بد للمحاور من إجادة فن الحوار واستخدام الألفاظ والمصطلحات المطلوبة والالتزام بالموضوع والتجرد من الحظوظ النفسية، والتكلم بأسلوبٍ فصيحٍ وواضح لا تلعثم فيه ولا تخبط، فالتدرب على الحوار

---

(1) وزين، فضل الهادي، **أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم**، بحث، ص19-20، ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/tafsir13458/#.W63YiPaNyM8. استرجع بتاريخ 2018/8/6م.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج4، ص6.

يجعلك أكثر منطقاً وأبلغ كلاماً وحجة، قال تعالى حكاية عن موسى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} [القصص: 34].

ومن آداب الحوار التي يجب الالتزام بها:

1- الإنصات وعدم المقاطعة، وإعطاء المتحاور الفرصة الكافية للتعبير.

2- تحاشي الألفاظ النابية، وعدم التطاول على سيادة الدول.

3- تبادل المعلومات وتعاون الأفكار.

4- حسن الإصغاء والبعد عن التجريح.

5- البعد عن التعصب لهوى أو رأي.

قال تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: 8]، فيجب العدل والإنصاف مع الجميع سواء كان صديقا أو خصما، مسلمل أم كافرا، قويا أو ضعيفا. فالجميع سواء أثناء الحوار.

والحوار:"هو التجاوب بالمخاطبة والرد"[1]، " وهو تبادل المعلومات والأفكار والآراء، سواء كان تبادلاً رسمياً أو غير رسمي، مكتوباً أم شفوياً، وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها"[2]، فهو إذن منح الآخر فرصة للكلام بطريق المناوبة وترتيب الأدوار في الكلام.

قال تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

وقال الزحيلي في ذلك: "وهذا أمرٌ سهلٌ يسيرٌ وله أهدافٌ سامية عالية، من أهمها منع التنازع والخصام بين الناس وإشاعة المودة والمحبة بين الأفراد لذا أمر الله نبيه صلى الله

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج15، ص320.

(2) التركستاني، **الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص10.

عليه وسلم أن يدعو إلى العدل والوسط والكلمة السواء وهي: ألا نعبد جميعاً إلا الله، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فكل دين سماوي لا يختلف عن الآخر في إثبات الوحدانية والربوبية لله تعالى"[1].

وقد قرر الله تعالى منهجاً معتدلاً للتعامل مع أهل الكتاب، "التزم به نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالكلمة السواء هذه، وكتب إلى هرقل عظيم الروم وإلى غيره من أمراء وملوك العالم، ودعا بها أهل الكتاب في الجزيرة العربية، وكذلك ينبغي أن يدعو أهل الكتاب إلى يوم القيامة"[2]. "فالجميع يقف أمام كلمة سواء فلا يعلو أحد على أحد، ولا يتعبد أحد أحدا، وهي كلمة عدل"[3].

وإن الآية السابقة أصل ثابت للحوار بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وتدعو إلى الحلول الوسطية بتعبير كلمة سواء، التي هي رمزٌ للعدل والإنصاف وهي التي دعا إليها الأنبياء والرسل، وعليه يجب رد كل اختلاف إلى القرآن ليقول فيه كلمة الفصل لأنه لا قيمة لآراء الناس ما لم تستند إلى المرجع الأخير [4].

ويفهم أيضاً منها أنه على الدول المستضعفة أن تقوم بوساطة عن طريق الحوار المباشر والبناء الهادف لإقناع الطرف الآخر لرفع الذلّ عن المستضعفين فيها.

وفي المقابل فإن الطرف الآخر قد يجيد حسنَ لغة الحوار لإقناع الطرف الأول، ويبقى الكلام سجالاً بينهما، والذي يهمنا هو النتيجة الحتمية التي تنجم عن ذلك الحوار في إطار الجانب الإيجابي الذي سيرفع عن الأمة ضعفها وذلها، إن هي التزمت بآداب الحوار الناجح وتلك هي الغاية القصوى التي من أجلها شرع الحوار لايجاد حلٍ يرفع عن الأمة الظلم والاستضعاف.

---

(1) الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج1، ص200.

(2) الزحيلي، المرجع السابق، ج1، ص200.

(3) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج5، 478.

(4) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص902.

المطلب الثاني: ثمرة الحوار البناء.

إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة ماسة إلى الحوار البناء الهادف الذي يؤتي أكله، ويعود على الأمة بالنفع والخير العميم سواء كان هذا الحوار بين القيادة وأبناء الأمة أو بين الأمة وحلفائها، بغض النظر عن طبيعة الطرف الآخر أو الأمة وجيرانها، وينبغي أن يكون هذا الحوار قائماً على أسس احترام المبادىء، ويعطي الحلول المناسبة في إقناع الطرف الآخر بسماحة ديننا الحنيف لأنه يقبل الرأي الآخر، إذا كان لا يتعارض مع نص شرعي قطعي الورود والدلالة ولا يحتمل التأويل.

وأمر الله نبيه بلين الجانب ولطف الخطاب، كما أمر به موسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون في قوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 42 - 44] فعلى كل داعية الالتزام بهذا الأمر الإلهي.

كما ورد في قصص بعض المتحاورين قديما لإلقام الخصم الحجج الدامغة، قال تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 28]، (وكذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) أي "مثل ذلك التفصيل والتبيان في إلزام الخصم الحجة القوية، نفصل الآيات ونوضحها لقومٍ يستعملون عقولهم ويتأملون فيما يقال لهم ويذكر من الأدلة المنطقية والحجج الإقناعية"[1].

ثم قال تعالى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ}"ولكن هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم، اتبعوا أهوائهم جهلاً منهم ولم يحكموا عقولهم في عبادتهم الأنداد بغير مستندٍ ولا عقل"[2].

وكل رسول بين الدول يجب أن يتحلى بالأخلاق التي تمكنه من تقريب وجهات النظر كما في قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125].

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج21، ص79.

(2) الزحيلي، المرجع السابق، ج 21، ص 79.

"فلتكن المناظرة والجدال بالوجه الحسن، وبحسن الخطاب والصفح عمن أساء في القول وقابل السوء بالحسنى، وأقصد من الجدال الوصول للحق دون رفع الصوت وسب الخصم أو الأذى"[1]، قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46]، فهذا أمر من الله كما ذكرت في قصة موسى عليه السلام سابقا.

فإن الحوار الهادف البناء بالنسبة للأمة فرصة لنشر دينها علناً، خصوصاً في هذا العصر باستخدام وسائل الإعلام الإيجابية والمواقع الرسمية لتصل رسالة ديننا الحنيف وتعاليمه إلى كل بيت، وهذا من نتائج الحوار الدعوي الذي ينقذ الأمة من الاستضعاف والاستعباد ويعيد لها عزتها وكرامتها.

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج14، ص270.

المبحث الثامن:

إعداد جيل مستقيم في الأمة الإسلامية.

المطلب الأول: التزام الأفراد للانخراط في مشروع بناء الأمة.

المطلب الثاني: التعبئة الإسلامية لكل فرد في الأمة.

المبحث الثامن:
إعداد جيل مستقيم في الأمة الإسلامية.

المطلب الأول: التزام الأفراد للانخراط في مشروع بناء الأمة.

لا يمكننا أن نرسم مشروعاً ناجحاً لبناء الأمة في ظل العنف، وعليه يلزمنا وضع خطة محكمة منسقة تتقيد بمنهاج الإسلام الوسطي، الذي هو بعيد عن كل التطرف وأخلاق الجاهلية والنعرات الطائفية قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143]، وبذلك تتحقق الكرامة المنشودة للإنسان في ظل العز والتمكين بعيدة عن الاستضعاف والذل [1].

وبناء هذا المشروع يجب أن يعتمد على تحرير الإنسان والاعتراف بكرامته ليبعث لديه الشعور بقيمته، فالإسلام يخاطب العقل أولاً، ثم يخاطب الإرادة والعزيمة، ويجب على كل فرد أن يعرف بأن الإسلام يهدف إلى بناء الإنسان الصالح الذي يصلح بأن يكون خليفة الله في الأرض، حيث كرمه أفضل تكريم، وخلقه في أحسن تقويم، وسخر له مافي السموات ومافي الأرض جميعاً قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: 13]، فإذا اكتملت فيه جميع خصائص الإنسانية، وتم بناؤه على أنه صالحٌ لقيادة الأسرة والمجتمع[2].

وإن النهوض بالدول وبنائها ينبغي أن يقوم على قواعد تحكم الحياة الإجتماعية، التي يحترم فيها حقوق الغير، وتتم فيها "المحافظة على الهوية الإسلامية وفهمها فهماً صحيحاً، باعتباره ديناً ربانياً ونظاماً إنسانياً لتوحيد الناس على الخير وتحقيق العدل، كما يتم فيها إعلان الأخوة الإنسانية التي تسمو فوق روابط اللون والجنس واللغة في مسيرة متناغمة لتعمير الأرض وتجميلها والمحافظة على خيراتها، كما يكون هناك تدريب على أصول الحوار، وفهم التعايش عند الاختلاف، وعدم اللجوء للعنف، كما يجب معرفة أن مصلحة الوطن

---

(1) أوعيشة، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم**، ص 308.

(2) حلس، داود، **إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2008م، ص 7.

هي المصلحة العليا والحد من روح الفردية، والانفتاح على الفكر العلمي العالمي، والاستفادة من جميع تجارب البشرية، كما يجب مواجهة ضغوط العولمة الثقافية، والعمل على نشر الثقافة الإسلامية"[1].

وإن تعاون الأفراد لبناء الأمة عملاً بقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2] ومن منطلق حديث رسولنا الكريم: "كلُّكم راعٍ، وكلُّكُم مسؤُولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ"[2]، فهذا الحديث يلزم الجميع بدوره للانخراط والسعي الحثيث الجاد الذي على كل فرد أن يبذل كل ما في وسعه وطاقته للنهوض بالأمة، وإخراجها من قفص الاستضعاف والذل إلى دائرة العز والتمكين.

(1) حلس، داود، **إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية**، ص7.

(2) أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ج 2، ص 5، رقم (893).

المطلب الثاني: التعبئة الإسلامية لكل فرد في الأمة.

إن التعبئة الإسلامية لكل فردٍ تتم بتحولٍ إيجابيٍ وذلك بمدارسة سير صلحاء وعلماء وخلفاء هذه الأمة كعمر بن عبد العزيز الذي كان مثلاً يقتدى به في تعبئة هذه الأمة تعبئة مبناها العدل والإنصاف.

إن إعداد جيل النصر هو الوسيلة الأساسية للخروج من حالة الاستضعاف، فإن أعظم جيل مستقيمٍ عرفته البشرية هو رعيل الصحابة الأوائل، الذين ضحوا بدمائهم وأنفسهم لهداية الناس ونصرة الحق، فإنه مضى بعزم وهمة، وتمكن من أن ينتقل من الذل إلى العز، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الاستضعاف إلى كل معاني الإنسانية [1].

ولإعداد هذا الجيل لا بد لنا من تنشئته تنشئة على التقوى والخلق الرفيع ليكون سبباً في نهضة الأمة، وبذلك يستطيع هذا الجيل أن يغير مسار التاريخ وفق منهج الحق وطريق الإيمان وقيام دولة الحق والعدل من المشرق إلى المغرب [2].

"ولإخراج جيلٍ سليم يجب علينا معالجة الضعف نفسه، وذلك بمعرفة الأمراض المتفشية فيه داخلياً ومعالجتها، كما يجب على كل فردٍ في الأمة أن يتحمل المسؤولية في أن يكون مشاركاً وله دورٌ فعال في إخراج الأمة من حالة الضعف والهوان التي تعيشها، ولا نكون كبني إسرائيل عندما قالت لنبي الله موسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: 24]، وحتى نعد الأمة لا بد لنا من إعدادٍ شاملٍ نقوم فيه بتعبئة قوى الأمة تعبئة عامة داخلية وخارجية لمواجهة الأخطار والتحديات القائمة"[3].

---

(1) القضاة، **الدور الريادي لحملة القرآن الكريم في نهضة الأمة**، ص267.

(2) الفضاة، المرجع السابق، ص288.

(3) الكيلاني، ماجد عرسان، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين**، دار القلم، دبي، ط3، 1423هـ-2002م، ص257.

فالعالم اليوم يعاني مصائب الجوع والفقر والبطالة والحرمان والظلم والاستضعاف لذا نحن اليوم بحاجة إلى إعداد هذا الجيل، ليصحح مسيرة الناس، ويعيدها إلى الجادة، وإلى الحق والعدل لكي نتمكن من صياغة التاريخ وصنع أحداثه [1].

فإخراج جيل قرآني يبني الحضارة، ويصنع الحياة، مهمة عظيمة وشاقة، وبحاجة لدقة وإتقان، وبحاجة لمراجعة كل مرحلة من مراحل الإعداد، وهذا يكمن في تعاليم القرآن والسنة النبوية الشريفة [2].

ولإعداد هذا الجيل يجب علينا تبني خطة شاملة لإعداد الأمة إعداد إسلاميا، على أن تكون خطة متكاملة تتضمن جميع المؤسسات والهيئات وتركز على التعليم بالدرجة الأولى لأن له دورا فعالا في تنشئة الأجيال القادمة، ويشمل التوجيه والإرشاد الجماهيري العام، وكذلك الإعداد العسكري الذي يستهدف تعبئة قوى الأمة تعبئة عامة لمواجهة الأخطار والتحديات القائمة، فعلينا أن نستفيد ممن هم قدوتنا حتى ننشىء جيل النصر والتمكين والصمود أمام التحديات. [3]

وعلى الأمة أن تقتدي بالإنجازات التي قام بها القائد الأعظم المجاهد الكبير (صلاح الدين الأيوبي) حيث ركز بالدرجة الأولى على تعبئة الأجيال الناشئة والتوجيه والإرشاد الجماهيري للعامة، والإعداد العسكري لمواجهة الأخطار والتحديات القائمة، فأنقذ الأمة من الاستضعاف والذل والأزمات التي كانت تعصف بها واستعاد المقدسات الإسلامية، وتمكن من إظهار شعائر الدين فأعاد للأمة عزها ومجدها بعد أن كانوا أذلاء صاغرين [4].

وفي واقعنا الحالي "لا زلنا نرى عناصر مؤمنة مغلوبة على أمرها، وهي من الأغلبية الصامتة من جماهير المسلمين المستضعفين سواء منهم من تعرف على رحمة الإسلام وعدله كمعراج للخلاص الإنساني، أو من بقي له الإسلام عقيدة قومية أضعفتها عوامل التعرية الاستكبارية.

---

(1) القضاة، **الدور الريادي لحملة القرآن في نهضة الأمة**، ص255.

(2) القضاة، **الدور الريادي لحملة القرآن في نهضة الأمة**، ص256.

(3) الكيلاني، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين**، ص319.

(4) الكيلاني، المرجع السابق، ص257.

وحينها تظهر أهمية الأفراد في التعبئة الإنسانية، بأنهم يحاربون الفساد، ويتولون التصحيح في هذه الأمة وتقويمها، وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم (أولو بقية) في قوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} [هود: 116] [1].

"فهم ذو بقيّة من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله، وعليهم في الكفر به، فهم ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم وأهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه، فلم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا يسيراً فنجاهم الله من عذابه حين أخذ من كان مقيماً على الكفر بالله". [2]

وقد تكفل الله لهذه الأمة على مر العصور بحفظ دينها بأن لا تخلو من قائدٍ حكيم يحكم بالسوية ويقيم الدين ويدعو الأمة إلى تعبئة جادة نحو مستقبل أفضل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن السلطان العادل ظل الله في الأرض وعلى يديه يزول الاستضعاف والذل ويعم العدل والرخاء.

---

(1) القضاة، **الدور الريادي لحملة القرآن الكريم في نهضة الأمة**، ص 273.

(2) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج15، ص527.

المبحث التاسع:

نشر ثقافة الاستبشار بالنصر والتمكين في الأرض.

المطلب الأول: إحياء روح الأمل والبشارة.

المطلب الثاني: كون النصر والتمكين سنة من سنن الله في الأمم.

المطلب الثالث: جيل النصر والتمكين وقائد النصر والتمكين.

المبحث التاسع:
نشر ثقافة الاستبشار بالنصر والتمكين في الأرض.

المطلب الأول: إحياء روح الأمل والبشارة.

إن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان يحب البشائر، وكان دائماً يبشر المسلمين، فلذلك يجب أن يكون التبشير سنة في حياتنا حيث نبينا الكريم قدوتنا في ذلك، فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» [1].

"وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضةً من غير ضمها إلى التبشير"[2].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ، حتى يسيرَ الراكِبُ مِن صنعاءَ إلى حَضْرَموتَ؛ لا يخافُ إلا اللهَ أو الذئبَ على غنمهِ، ولكنَّكُم تستعجلونَ"[3].

ومن أجمل البشائر تلك التي تأتي عند اشتداد الضيق والكرب ودبيب اليأس، وبتلك النتائج البشائرية التي تعد بمستقبل مشرق زاهر يضمحل اليأس ويتلاشى، وعامة البشائر الواردة في القرآن الكريم والسنة إنما كانت في ساعات الضيق، وقسوة الظروف، التي عانى منها المسلمون وقت التعذيب والاضطهاد، ومن أجمل تلك البشائر بشائر أيام حفر الخندق، وغزوة الأحزاب [4].

وفي هذا الزمن نلاحظ أن اليأس قد غلب على الكثيرين لما يرون من حال الأمة إذ قد انتشر الاستضعاف والظلم والاستكبار العالمي، فأصبحوا يعتقدون أن الحال لن يتغير،

---

(1) أخرجه مسلم، **في صحيحه**، كتاب المغازي، باب بشروا ولا تنفروا، ج 5، ص 141، رقم (4546).

(2) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ، ج 12، ص 41.

(3) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج4، ص 201، رقم (3612).

(4) المجالي، **نحو جيل قرآني**، ص281.

فيجب علينا أن نغير هذه النظرة، وأن نعيد الأمل للقلوب، ونبعث البشائر في النفوس، لأن هذا كان منهاج رسولنا الكريم، وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، أنه لن يبقى بيت مدر ولا وبر إلا وسيدخله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل [1].

وهناك الكثير من البشائر التي تحققت، والتي أخبرنا بها نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وتحققت بعد وفاته كفتح القسطنطينية وغيرها، وهذا دليلٌ على صدق نبوته وهو الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

وسيأتي النصر والتمكين لأمتنا، حيث أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن النصر سيتحقق على اليهود عند وقوع أشراط الساعة الكبرى، فلم اليأس والضعف، ومن هذه الأشراط قول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ» [2].

فلا يضرنا ما يحاك من الفتن لأن بشائر النصر آتية لا محالة والعزة والتمكين سيتحققان ولكنها مسألة وقت.

---

(1) القضاة، **الدور الريادي لحملة القرآن الكريم في نهضة الأمة**، ص 281.

(2) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، ج 4، ص 42، رقم (2925).

المطلب الثاني: كون النصر والتمكين سنة من سنن الله في الأمم.

التمكين: "هو السعي الجاد من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطه والنفوذ والمكانة في دنيا الناس"[1].

وعرّفه الاستاذ فتحي يكن بقوله:" بلوغ حال من النصر وامتلاك قدر من القوة وحيازة شيء من السلطة والسلطان وتأييد الجماهير والأنصار والاتباع وهو لون من ألوان الترسيخ في الأرض وعلوّ الشأن"[2].

قال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: 171 - 173].

و" إن هذه الآيات الكريمة تشير إلى نصر الله تعالى، وإعزاز أهل الإيمان ممن يحرصون على الدعوة، ويتحملون المشاق في سبيلها سواء كان الداعية رسولاً كريماً أو أحد المؤمنين، وهذا الإعزاز والتمكين يكون في الحياة الدنيا قبل الآخرة"[3].

والتمكين يتعلق بسنة التدافع تعلقاً وثيقاً، فالتدافع بين الناس يعبر عنه في هذا العصر بتنازع البقاء، وذلك في قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} [البقرة: 251] فهذه الآية لا تختص بما يكون بالحرب والقتال فحسب، بل بكل نوع من أنواع التنازع بين الناس الذي يقتضي منهم المدافعة والمغالبة [4].

ولا بد لنا حتى نحقق ما نرجوه من العزة والتمكين أن نعمل جادين للخروج من دائرة الاستضعاف والذل إلى دائرة النصر والتمكين، وهذا التمكين لا يأتي عفويا ولا ينزل

---

(1) الصلابي، علي محمد، **فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط5، 1430هـ-2009م، ص18.

(2) يكن، فتحي، **مجلة المجتمع** العدد 1249، 6محرم، 1418هـ، 13مايو 1997م؛ وانظر، الصلابي، **فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، ص18.

(3) الصلابي، **فقه النصر والتمكين**، ص23.

(4) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج2، ص492، 498؛ وانظر الصلابي، **فقه النصر والتمكين**، ص70.

اعتباطاً، بل إن له قوانينه التي سجلها الله تعالى في كتابه الكريم، ليعرفها عباده المؤمنون، ويتعاملوا معها على بصيرة [1].

ولا بد للأمة الإسلامية أن تعرف العلاقة الوثيقة بين سنة التدافع بين الحق والباطل وبين التمكين، فالتمكين لا يأتي خبط عشواء بل قوانينه سجلها الله في كتابه الكريم.

إن " الله سبحانه وتعالى يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفاً، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو، مهما يسلك هذا الخير من طرق مستقيمة موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل، ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بقوة، فمن هنا يقع التدافع بين الحق وأهله، والباطل وحزبه، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا"[2].

وجاء تقرير هذه السنة في آيتين كريمتين هما في قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: 251]، وكذلك في قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 40].

ولذلك يجب علينا أن نعرف سنة التدافع "لندرك أن سنة الله في تدمير الباطل أن يقوم في الأرض حق يتمثل في أمة، ثم يقذف الله تعالى بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"[3].

والله سبحانه وتعالى يبين لنا سننه في الآفاق والمجتمعات وكيفية وقوعها وما هي الاسباب التي يجب الأخذ بها، حتى يتمكن لهم النصر على عدوهم، ويحقق لهم التمكين والنصر.

---

(1) القرضاوي، يوسف، **جيل النصر المنشود**، مكتبة وهبة، القاهرة–مصر، دون طبعه ودون تاريخ، ص15؛ وانظر الصلابي، **فقه النصر والتمكين**، ص70.

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص742.

(3) قطب، المرجع السابق، ج2، ص1091.

قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [النور: 55 – 57].

يقول الإمام النسفي رحمه الله:" وعدهم الله تعالى أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين الذي ارتضى لهم وهو دين الإسلام وتمكينه: تثبيته وتعضيده وأن يؤمن سربهم، ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه، وذلك أن الرسول وأصحابه كانوا بمكة عشر سنين، ولما هاجروا كانوا في المدينة يصبحون ويمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت، فأنجز الله وعده وأظهره على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة ولكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا"[1].

وفي قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [القصص:5- 6].

ففي هذه الآيات أيضاً مشهد من الصراع بين الحق والباطل، يستمرئ فيها الباطل بسلطانه، فيفرق الناس طوائف وشيعا، وإذا كانت هذه إرادة أهل الباطل: فرعون وجنده ومن على شاكلته في هذا العصر، فهناك إرادة الملك العلام ذي الجلال والإكرام الذي يريد أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض، ويمكن لهم فيها. [2]

---

(1) النسفي، أبو البركات عبد الله، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق/ يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1419هـ – 1998م، ج3، ص152؛ وانظر، الغريب، رمضان خميس زكي، **سنة التمكين في المنظور القرآني**، منارات للإنتاج الفني والدراسات، مدينة نصر القاهرة، ط 1، 1434هـ- 2013م، ص30.

(2) الغريب، **سنة التمكين في المنظور القرآني**، ص30.

ولنا في ذي القرنين أسوة حسنة حيث كانت له رحلات إيمانية تحدث عنها القرآن الكريم، وسوف نتحدث عن الرحلة الثالثة لأهميتها وعلاقتها بموضوعنا، ورد ذلك في قوله تعالى: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا.آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا} [الكهف: 95 – 97].

وذو القرنين وجد قوماً لا يكاد الإنسان منهم يقدر على التعبير عما في نفسه ولا يفقه ما يحدثه به غيره من بني قومه، هؤلاء القوم لما علموا من سيرة ذي القرنين وعدله وصلاحه، لجؤوا إليه لحمايتهم من القبائل الهمجية المفسدة وهي قبائل يأجوج ومأجوج [1].

فعرضوا على ذي القرنين أن يعطوه أجراً ويجمعوا له مالاً، لكنه رفض عرضهم وتطوع بإقامة السد، ووضع نصب عينيه الإصلاح ومقاومة الفساد والشر " وذو القرنين في تعامله مع الشعوب المسضعفة كان يقوم بالسعي الجاد لنقلها من الجهل والتخلف والكسل والضعف إلى العلم والتقدم والنشاط والقوة، فكان يدير العمل معهم بروح الجماعة، ويشترك بنفسه مع إشراك غيره، فقد كان حريصاً على مصلحة الناس ناصحاً لهم بما يعود عليهم بالنفع، لهذا طلب منهم المعونة الجسدية، لما في ذلك من تنشيط لهم ورفع لمعنوياتهم، ومن نصحه وإخلاصه لهم أنه بذل ما في الوسع والخدمة أكثر مما يطلبون، فهم طلبوا أن يجعل بينهم وبين المفسدين سداً، فقد وعدهم بأن يجعل بينهم ردماً"[2].

ويمكن أن نستفيد من ذي القرنين في موقفه مع المستضعفين في توريثهم أسباب القوة حتى يمكنهم أن يحموا أنفسهم ويقفوا أمام المفسدين، لذلك نجد أن أمتنا ملأى بالمواهب الضائعة والطاقات المعطلة، والأموال المهدرة، والأوقات المبددة والشباب الحيارى، وهي تنتظر من يقودها، على قاعدة تقوم على الجمع والتنسيق والتعاون ومحاربة الكسل والتخلف كما في قوله: {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} [الكهف: 95] [3].

---

(1) الصلابي، **فقه النصر والتمكين**، ص149.

(2) الصلابي، المرجع السابق، ص150.

(3) الصلابي، المرجع السابق، ص 150.

فإذا تيسر للأمة من يقودها بإخلاص، ويوجه طاقاتها للخير فعندئذ يمكن الله للمستضعفين فيعلنون شعائر الله ويعظمونها كما أمر الله.

المطلب الثالث: جيل النصر والتمكين وقائد النصر والتمكين (دولة قطر).

يتمتع جيل النصر والتمكين بمواصفات عديدة فهو: "جيل يعتز بالإسلام الذي منَّ الله به عليه واختاره له، بل اصطفاه لحمله ونشره وتعبيد الناس من خلاله، إنه يشعر أن هذا الدين هبة إلهية ومنحة ربانية، ونعمة من نعم الله عليه فهو يغالي بها ولا يراهن عليها، ولا يعطي الدنية فيها لأي أمر من الأمور، والله سبحانه وتعالى يوجه عباده إلى هذه العزة الإيمانية والاعتزاز بالإسلام، والرفعة به عن كل قيم الأرض وتصوراتها في قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139]، هذا الترفع والاستعلاء ليس وليد فترة معينة ولا ظرف طارىء، بل وجه الله إليه الأمة في حالة الضعف والقلة، وهذا هو ديدن المؤمن صحيح الإيمان مهما قل ماله، أو رق حاله، أو تكاثرت عليه الخطوب".[1]

وهنا توجيه رباني يصف لنا حالة الاستعلاء التي يجب أن يكون عليها المؤمن، استعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان، واستعلاء على قيم لم تنبع من أصل إيماني، وعلى قوانين الأرض، وعلى أوضاع لم ينشئها الإيمان، فهو استعلاء إيماني قائم على الحق الثابت [2].

فجيل التمكين جيل جماعي لا فرد يعمل بتنسيق وانتظام وانضباط، ولذلك فلا يقوم التمكين على كواهل الأفراد وإنما يقوم على أساس جماعي.

وجيل التمكين الرباني يعيش بقلوب أهل الآخرة، يعيشون وقلوبهم تهفو إلى رضا المولى سبحانه، فأبرز ما يميزهم أنهم مخلصون لربهم، فإذا جاءت الدنيا جعلوها في أيديهم ولم يدخلوها قلوبهم، لا يعبدون الأهواء والأشخاص أو الطواغيت من دون الله.

وجيل التمكين دائم الشعور بمعية الله، وهذا يدفعهم إلى الصدع بالحق، وطرح الجبن والخوف، فهم حذرون من معصية الله تعالى أكثر مما يحذرون من أعداء الله تعالى. [3]

---

(1) الغريب، **سنة التمكين في المنظور القرآني**، ص268.

(2) الغريب، المرجع السابق. ص 270.

(3) الصلابي، **فقه النصر والتمكين**، ص374، 375.

وكذلك هو " جيل نافع لغيره، يرى حياته وسعادته في أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، لا يعيش لنفسه ولا يستعبده هواه، بل حركته وسكنته ومصبحه وممساه وليله ونهاره في خدمة غيره، لا يفتر من إرشاد من حوله إلى نفع يفيده، أو تحذير من ضرر يؤذيه"[1].

كما أنه جيل ينعم بالحياة النظيفة الطاهرة مع من حوله.

ونلاحظ أنه يمكننا إيجاد مثل هذا الجيل وهو جيل التمكين في دولتنا الغالية والحبيبة قطر، فقد ساهم مركز البحوث والدراسات في قطر تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية "بإصدار بحوث تحت سلسلة كتاب الأمة، وهو يهتم بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويهتم بالتحصين الثقافي والتغيير الحضاري، وترشيد الصحوة في ضوء القيم الإسلامية، كما اتسمت بحوثه بالأصالة، والإحاطة الموضوعية والمنهجية"[2].

ومن أمثلة البحوث والكتب التي ساهمت مساهمة فعليه في توجيه أبناء الأمة:

1- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي.

2- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الدكتور يوسف القرضاوي.

3- حول إعادة تشغيل العقل المسلم، الدكتور عماد خليل الدين.

4- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي.

5- الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، الدكتور نبيل صبحي الطويل.

والكثير من الكتب التي تحت إشراف وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية وذلك كله للعمل بجدية لمستقبل مشرق فاعل لبناء جيل الأمة، جيل النصر والتمكين.

وهذه الدراسات المنهجية لها دور وأثر في نهضة الأمة والأخذ بيدها نحو التقدم والازدهار، وإخراج جيل التمكين لدين الله، واليوم بإذن الله نجد جيلاً تمكن من الصمود أمام حصار يمكن وصفه بالحصار الظالم.

---

(1) الغريب، **سنة التمكين في المنظور القرآني**، ص293.

(2) الصلابي، **فقه النصر والتمكين**، ص274.

قائد التمكين:

ومن أخطر عوائق التمكين غياب القيادة الربانية، لأن القادة الربانيين هم عصب الأمة وحياتها وبمنزلة الرأس من الجسد، فإذا صلح القادة صلحت الأمة.

وتكلم العلماء عن صفات القائد الرباني وأجملوها بعدة صفات، فمن أهم هذه الصفات:" سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة، والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع، وقبول التضحية، والحلم، والصبر، وعلو الهمة، والتميز بخفة الروح والدعابة، والحزم والإرادة القوية، والعدل والاحترام المتبادل، والقدرة على حل المشكلات، والقدرة على التعليم وإعداد القادة"[1].

ومن أهم أسباب التمكين القيادة الربانية التي جرى الإيمان في قلبها وعروقها وانعكست ثماره على جوارحه، كما تستطيع أن تنتقل بفضل الله نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، كما لا بد أن يكون العلماء الربانيون هم قلب القيادة الربانية وعقلها المفكر حتى تسير هذه الأمة على بصيرة وعلم وهدى [2].

واليوم بإذن الله تعالى نجد في قيادتنا الحكيمة الراشدة في قطر خير قيادة تمكنت من الصمود أمام الحصار بتكاتف هذا الجيل مع القيادة، وستكون قطر بإذن الله وتوفيقه مثالاً رائعاً في التمكين والعزة حيث أثبتت على مرأى ومسمع العالم أجمع وبشهادة القاصي والداني أنها تتبع الحق وتنبذ الباطل، ونسأل الله تعالى أن يديم قطر في عز ورخاء وأمن واستقرار ونهضة للأمام.

---

(1) الصلابي، **فقه النصر والمكين**، ص237.

(2) الصلابي، المرجع السابق، ص، 241.

الخاتمة

هكذا يصل البحث إلى منتهاه، آملين أن نكون قد سددنا به ثغرة ولبينا واجبا يتعلق بالموروث الديني، وإسهاما في الحفاظ على تراث الأمة الإسلامية الخالد فضلا عما يمثله هذا الموضوع من قيمة لدى الإنسانية جمعاء، حيث إن أسباب الاستضعاف وطرق علاجه من القرآن الكريم مجملةٌ ومفصلةٌ في هذه الرسالة كَمًّا وكيْفا.

ولقد أوضحت فيها الباحثة الكثير مما له علاقة بأسباب الاستضعاف وطرق علاجه حيث أفردنا له هذا البحث، فيلقى القارئ التفاصيل ذات الصلة والتي لن يعدمها القارئ وهو يُقَلِّبُ نظره فيما تمَّ تدْبيجُه في هذا العمل، كما نتوخى أن نقدم دعوة للحفاظ على ديننا من عبَثِ الأيام ودواعي الزمان ودُعاةِ التضليل، ولا يعني ذلك الانغلاق عن الحاضر والتأخر في التفاعل معه لكن صيانة الماضي هويةٌ تُعينُ على الاستجابة للحاضر وإثْرائه.

ولكلِّ بدايةٍ نهايةٌ، وخير العمل ما حَسُنَ آخِرُه وخيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ، وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنَّى السداد والتوفيق لكل من أسدى لي نصحاً بصفة خاصة ولجامعة قطر بصفة عامة طلابا وأساتذة ومديرين وعمداء.

النتائج

من خلال البحث في هذه الرسالة تخْلَصُ الباحثة إلى النتائج التالية:

1. الاستضعاف هو الذي يقع على الفرد أو المجتمع بحيث لا يمكن بمقدورهما إظهار شعائر دينهم وتطبيقها كلها أو بعضها بسبب سطو عدو أو سلطان غشوم، وهذا ما ابتلي به المسلمون في العهد المكي، وكذا بعض المسلمين في هذا العصر الحالي إذا كانوا تحت راية دولة رئيسها كافر، على سبيل المثال مينمار نموذجا.
2. السبب الأكبر لاستضعاف المسلمين هو البعد عن شرع الله عز وجل وسنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم، فلو عادوا إلى دينهم حقا لانتصروا على عدوهم.

3. المستضعفين يتفاوتون في الاستضعاف فهناك استضعاف معنوي وحسي ويمكن ترجمة ذيْنِ إلى استضعاف سياسي وديني وثقافي واقتصادي.
4. من أسباب الاستضعاف في الأمة يعود إلى ضعف منسوب الايمان والأخلاق، وكذلك عدم التوكل على المولى عز وجل، ومنها انتشار الاستبداد بكل أشكاله واختلاف وجهات النظر بين الحكام والمحكومين من جهة وبين الدول الإسلامية والغرب من جهة أخرى.
5. إ سبل علاج الاستضعاف تكمن في رجوع الأمة إلى الدستور القرآني والمنهج النبوي تعلماً وعملاً، ومنها أيضاً التوافق بين القادة وأبناء الأمة لتوحيد الصف واجتماع الكلمة ونبذ الفرقة والاختلاف، ومنها عدم خنوع الامة الاسلامية للغرب، لتكون متحدة في وجه عدوها.
6. الحوار البناء يكون بخلق جو من الوفاق يضمن للأمة تعايشاً سليماً في ظل الظروف والأزمات التي تعصف بأمتنا، ضماناً لمستقبلنا وخروجاً من ربقة الاستضعاف والذل.

التوصيات:

في ختام هذا البحث أذكر بعض التوصيات التي أراها مناسبة لبحثي:

1. عدم تأثر المجتمع بصور الاستضعاف الحالي وأنَّ ما يصيب هذه الأمة من وهِنٍ سيعقُبه نصر مؤزرٌ وتمكين بإذن الرحمن الرحيم العزيز الحكيم.
2. هنالك عدة جوانب فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية ونفسية مرتبطة بالاستضعاف وسبل علاجه، تحتاج مزيد بحث وتأمل من السادة الطلاب والدكاترة والباحثين حيث إنَّ المراجع والمصادر التي تتحدث عن الاستضعاف بكل أشكاله قليلة جدا مقارنة مع الموضوعات التي تزخر بها المكتبة الإسلامية من مصنفات ومؤلفات في عدة مجالات أخرى سواء كانت ثقافية أو دينية أو سياسية أو تاريخية.

3. عمل ندوات علمية ومؤتمرات دولية تعالج أسباب الاستضعاف وسبل علاجها مع التركيز على الجوانب الإيمانية وسبل تعزيزها في مجتمعاتنا لأن الإيمان هو أساس حياة المسلم وبه يتحقق النصر المؤزر.

والحمدالله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الآجري، محمد بن الحسين، **الشريعة**، تحقيق/ عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط 2، 1420هـ-1999م.

الآلوسي، محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة – بدون تاريخ.

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، **الموسوعة القرآنية**، ج8، ص475، مؤسسة سجل العرب، طبعة 1405هـ – 1984م.

الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق/ محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن إسحاق، محمد بن يسار، **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، تحقيق سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ/ 1978م.

أسد، محمد، **الإسلام على مفترق الطرق**، تحقيق/ عمر فروخ، دار العلم للملايين، 1987م.

أوعيشة، مصطفى، **مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي**، ط1، 1435هـ، 2014م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية، القاهرة.

بازمول، محمد بن عمر بن سالم، **أحكام الفقير والمسكين في القرآن العظيم والسنة**، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ط1.

البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري**، تحقيق/ محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422 هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدآباد – الدكن، دون تاريخ، دون طبعة.

بشير، محمد فارس، **المستضعفون في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م.

البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي**، تحقيق/ محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417 هـ – 1997 م.

بلوافي، أحمد، **مبشرات في زمن الاستضعاف**، مجلة السنة، العدد 62.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى**، تحقيق/محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 1424هـ-2003م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1، 1405هـ.

التربابي، جهاد، **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، بتصرف، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1431هـ/2010م.

التركستاني، أحمد بن سيف الدين، **الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق/ أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1395هـ-1975م.

التفسير الموضوعي، جامعة المدينة الإسلامية، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، كود المادة: 1UQR3D3.

ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/2004م.

جبريل، حياة بن محمد، **الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة**، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1423هـ/2002م.

جرار، نبيل سعد الدين، **الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء-زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد**، أضواء السلف، ط1، 1428هـ، 2007م.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1403هـ – 1983م.

الجزائري، أبو بكر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية، ط 5، 1424هـ -2003م.

جلال العالم، عبد الودود الدمشقي، **قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، ط 2، 1395هـ - 1974م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر**، ص405، بتصرف يسير. تحقيق محمد كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ط 1، 1404هـ – 1984م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

ابن أبي حاتم، محمد بن عبد الرحمن الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق/ أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط 3، 1419هـ.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ – 1990م.

أبو حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، دار الفكر، دمشق - سورية، ط 2، 1408 هـ – 1988 م.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري على شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

حكمت، ياسين، **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة المنورة، ط 1، 1420هـ، 1999م.

حلس، داود، **إعداد الإنسان الصالح في ضوء التربية القرآنية**، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول" القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة" الجامعة الإسلامية، غزة، 2008م.

حمدان، إياد، **مظاهر الحرية الشخصية والعامة في الإسلام**، دراسات دعوية، العدد 77، يناير 2009م.

الحميد، محمد بن ناصر، **هدايات القرآن المبين لعباد المستضعفين**، رسالة لأستاذ مشارك بقسم التفسير بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، **مسند أحمد**، جمعية المكنز الإسلامي، ط 1، 1431هـ – 2010م.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، **الورع**، تحقيق/ زينب القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403هـ – 1983.

أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ.

خالدي، مصطفى، وفروخ، عمر، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي)**، المكتبة العلمية ومطبعتها، شارع المعرض، بيروت، ط 1، 1372هـ، 1953م.

خضر، قاسم، **شخصية فرعون في القرآن**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.

الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1390هـ.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1408هـ – 1988م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق/ محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني**، تحقيق/ طارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط 1، 1420هـ – 1999م.

الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، سنة 1420هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

رباع، كامل، **فقه الاستضعاف في ضوء السيرة النبوية في العهد المكي**، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، ط 1، 1438هـ – 2017م.

رشيد رضا، محمد بن علي الحسيني، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

رمضان، أحمد خالد، **الطغاة والطغيان في القرآن الكريم**، مقال نشر في مجلة البيان، العدد 294، صفر 1433هـ.

الرياشي، إيمان صالح مصطفى، **الغفلة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية –كلية أصول الدين بغزة، 1434هـ-2014م،

الريسوني، أحمد، **الفكر المقاصدي قواعده وفوائده**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م.

الزبيدي، محمد بن محمد الملقب بمرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، مجموعة من المحققين، ط2، طبعة الكويت.

الزجاج، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ – 1988م.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **حق الحرية في العالم**، دار الفكر المعاصر، ط1، 2014م.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **العلاقات الدولية واحترام العهود والمواثيق في الإسلام**، ثقافتنا، العدد 8، 1426هـ.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، سنة 1407هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد، **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ-2004 م.

أبو زهرة، محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد، **الوحدة الإسلامية**، سلسلة الثقافة الإسلامية، المكتب الفني للنشر، 1958م.

أبو زيد، أحمد، **الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسة دعوة الحق، العدد 145، مركز الشرق الأوسط، للدراسات الحضارية والاستراتيجية، لندن.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق/ عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ – 2000م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، والمحليّ، جلال الدين محمد بن أحمد، **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، ط1.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الاعتصام**، تحقيق/سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ-1992م.

الشحود، علي بن نايف، **موسوعة البحوث والمقالات العلمية**.

الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي (الخواطر)**، مطابع أخبار اليوم، بدون طبعة، بدون تاريخ.

شمام، بشير عبد العالي، **مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية رؤية في الموازنات بين الحريات الشخصية والمصالح العامة**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 12، شعبان 1429 هـ- أغسطس 2008م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة بدون تاريخ.

الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، ط1، 1426هـ.

الصلابي، علي محمد، **فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط 5، 1430هـ – 2009م.

صوافطة، نادر مصطفى، **الطغيان دراسة قرآنية**، دار الفتح للدراسات والنشر، ط 1، 1438هـ – 2017م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، **مسند الشاميين**، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1405هـ-1984م.

الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ – 2000م.

الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة قطر للطباعة والنشر، ط1، 1997م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بالتحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، 1997م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث – القاهرة، سنة 1364 هـ.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق/ فواز زمرلي، مؤسسة الريان- دار ابن حزم، ط1، 1424هـ – 2003م.

عبد الحميد، أبو سفيان أحمد، **إشكالية الاستبداد والفساد في التاريخ الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية (بيروت – لبنان)، ط 2، 1433 هـ- 2012م.

عبد الحميد، عبد الله الأثري، **الإيمان حقيقته خوارمه ونواقضه عند أهل السنة**، دار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1424هـ-2003م.

عبد الجواد، إبراهيم رجب، **معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير**، دار الآفاق العربية، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.

العجمي، عبد الله عوض، **الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع**، بحث مدعوم من إدارة الأبحاث بجامعة الكويت.

ابن أبي العز، علي بن محمد، الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق/ عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن، **معجم الفروق اللغوية**، دار العلم للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

ابن عطية، أبو محمد الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ.

البخاري، عبد العزيز بن أحمد، **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ.

العلي، إبراهيم بن محمد الجنيني، **صحيح السيرة النبوية**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 1415هـ-1995م.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتاب، ط 1، 1429هـ/ 2008م.

الغريب، رمضان خميس زكي، **الحرية وأثرها في الشهود الحضاري للأمة الإسلامية في المنظور القرآني**، دار المقاصد، القاهرة – مصر، ط 1، 1436هـ – 2015م.

الغريب، رمضان خميس زكي، **معالم السنن الربانية في أحداث الثورة المعاصرة 25 يونيو رؤية قرآنية** (25 يناير 2011، رؤية قرآنية تأصيلية).

الغريب، رمضان خميس زكي، **سنة التمكين في المنظور القرآني**، منارات للإنتاج الفني والدراسات، مدينة نصر القاهرة، ط 1، 1434هـ- 2013م.

الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، **المستصفى**، تحقيق/ محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ-1993م

الغزالي، محمد السقا، **الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية**، دار نهضة مصر، مصر، ط 2، 2000م.

الغزالي، محمد السقا، **الغزو الثقافي يمتد في فراغنا**، دار الشروق، ط1.

الغزالي، محمد السقا، **قذائف الحق**، دار القلم، دمشق، ط 2، 1418هـ.

الغضبان، منير محمد، **فقه السيرة النبوية**، جامعة أم القرى، ط 2، 1413هـ، 1992م.

الغنيمان، عبد الله محمد، **مجلة الجامعة الإسلامية (ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة)**، سنة 17، العدد 65-66، محرم – جمادى الآخرة، 1405هـ – 1985م.

أبو غنيمة، زياد، **السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية**، دار عمان – عمان، 1404هـ/1984م.

الغيلي، عبد المجيد محمد، **من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم (دراسة معجمية)**، طبعة إلكترونية، منشور على موقع المؤلف: رحى الحرف.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق هبد السلام هارون، دار الفكر، ط 1399هـ - 1979م.

الفالوذة، أبو إبراهيم، **الموسوعة في صحيح السيرة النبوية**، مطابع الصفا، مكة، ط1، 1423هـ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، دار الكتب العلمية، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، ط 1، 1424هـ – 2003 م.

الفلاني المالكي، صالح بن نوح، **إيقاظ همم أولي الأبصار بسيد المهاجرين والأنصار**، دار المعرفة، بيروت، 1425هـ-2005م.

الفوزان، صالح بن فوزان، **مظاهر ضعف العقيدة في هذا العصر وطرق علاجها**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية- الرياض، ط 1، 1429هـ-2008م.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، تحقيق/ محمد العرقسوسي، ط 8، 1426هـ - 2005م.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق/ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفيحاء، عمان، ط 2، 1407هـ.

القاضي عبد النبي، بن عبد الرسول نكري، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء)**، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.

ابن قدامة الحنبلي، أبو محمد عبد الله بن أحمد موفق الدين، **المغني**، تحقيق/عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1417هـ/1997م.

القرضاوي، يوسف، **جيل النصر المنشود**، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، دون طبعة ودون تاريخ.

القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 2، 1387 هـ - 1964 م.

القضاة، أحمد، **الدور الريادي لحملة القرآن في نهضة الأمة**، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 18، ص 169-210، يناير 2010.

قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط 17، 1422هـ.

قطب، سيد، **معالم في الطريق**، دار الشروق، مصر، ط10، 1403هـ.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ/1994م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق/ سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ – 1999م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1408هـ – 1988م.

الكرماني، محمد بن يوسف شمس الدين، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 2، 1401هـ – 1981م.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 1849هـ – 1902م.

الكيلاني، ماجد عرسان، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين**، دار القلم، دبي، ط 3، 1423 هـ – 2002م.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، سنة 1426 هـ – 2005م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430هـ – 2009م.

المجالي، محمد، **نحو جيل قرآني**، المكتبة الوطنية، عمان – الأردن، ط1، 2008م.

مجلة البحوث الإسلامية السعودية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، د.ت.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيان، حامد عبد القادر، محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة.

مجير الدين، عبد الرحمن بن محمد العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، دار النوادر، ط1، 1430هـ-2009م.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت.

المشوخي، زياد عابد، **الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي**، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط 1، 1433هـ – 2012م.

المقدم، محمد بن أحمد بن إسماعيل، **علو الهمة**، دار القمة، دار الإيمان، مصر، 2004م.

المناوي، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1410هـ/1990م.

منصور، عبد الحكيم، **بروتوكولات حكماء صهيون**، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2010م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط 3، 1414هـ.

الناصري، محمد المكي، **التيسير في أحاديث التفسير**، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1، 1405هـ 1985م.

النجار، مصطفى، **ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإنسانية، مفهوم مصطلح الشهادة على الناس في القرآن وأبعاده الحضارية**، الرباط 1996م.

الندوي، علي أبي الحسن، **السيرة النبوية**، ط 12، دار ابن كثير، دمشق، 1425هـ -2004م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن (السنن الصغرى)**، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 2، 1406هـ-1986م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق/ يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1419هـ – 1998م.

النمر، عبد المنعم، **الإسلام والشيوعية**، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1396هـ/1976م.

نوفل، أحمد، **دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، ط 2، 1431هـ.

النووي، أبو زكريا يحي بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ.

هاشم، أحمد عمر، **وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية**، بحث مقدم للملتقى الأول لعلماء المسلمين، في مكة المكرمة، 1427هـ-2006م،

الهرري، محمد الأمين الأرمي العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، تحقيق/مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 2، 1375هـ – 1955م.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ- 1994م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، **التفسير البسيط**، تحقيق/ أصل تحقيقه (15) رسالة دكتوراة بجامعة محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، نشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.

ابن وهب، محمد بن عبد الله المصري القرشي، **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

يكن، فتحي، **مجلة المجتمع** العدد 1249، 6محرم، 1418هـ، 13 مايو 1997م.

مراجع شبكة الإنترنت

بوابة الحركات الإسلامية نافذة لدراسة الإسلام السياسي والأقليات، www.islamistmovements.com/13327، استرجع بتاريخ 2014/12/19م.

حسن، عثمان، آثار الإفتراق على الأمة الإسلامية، بتصرف، مقال في منتدى التوحيد، http://www.eltwhed.com/vb.

الحمادي، المهندي، السكرتير الثاني لدولة قطر لدى البعثة الدائمة بجنيف، مقال في جريدة الراية القطرية بعنوان "حرية الرأي والتعبير حق يكفله الدستور"، http://www.raya.com.

الدويش، إبراهيم، التشبه والتقليد الأعمى يقتلان الإبداع والابتكار والرجولة، مقال من http://www.alhejaz.net

عبد العزيز، شريف، قصة أصحاب الكهف دستور النجاة من الفتن، بتصرف، موقع ملتقى الخطباء، https://khutabaa.com.

العجيلان، إبراهيم بن صالح، الطغيان في الأرض، موقع الألوكة، http://www.alukah.net.

القرضاوي، يوسف عبد الله، من مقال بعنوان "هل صحيح أن الاستبداد من علامات الساعة"، الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي، al-qaradawi.net.

فضل الله، حسين الجامع التاريخي 1431هـ، تفسير من وحي القرآن، موقع بينات، bayynat.org.

الكواري، غيث بن مبارك، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية، مقال قطر عالجت تبعات الحصار بحكمة، http://www.al-watan.com

المنجد، محمد بن صالح، مقال كيف يتحد المسلمون، الموقع الرسمي للشيخ،
https://almunajjid.com/1292 استرجع بتاريخ 5/2/ 2018م.

المنجي بنخليفة، الاختلاف بين التقليد والاتباع، موقع ملتقى أهل التفسير،
https://vb.tafsir.net.

منصور، أحمد صبحي، فلسفة الهجرة في تاريخ الأنبياء، مقال من موقع أهل القرآن،
http://www.ahl-alquran.com

المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، جهاد السلف في حفظ العقيدة. مقال من موقع الألوكة،
http://www.alukah.net/sharia/0/32992

الموسوعة العقدية، نواقض الإيمان، dorar.net/aqadia

موقع: answeringislam.com.

النابلسي، الجهاد وأنواعه، موقع النابلسي /www.nabulsi.com.

وثيقة رؤية قطر2030م،
https://www.mdps.gov.qa/ar/qnv1/pages/default.aspxو

زين، فضل الهادي، أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم، بحث، ص19–20، ملتقى أهل
التفسير، https://vb.tafsir.net/tafsir13458/#.W63YiPaNyM8